يوميات إمرأة مطلقة

الغلاف والرسوم الداخلية للفنان هبة عنايات

زينب صادق

يوميات إمرأة مطلقة

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية

الطبعة الأولى ١٩٩٤

مونولوج

نعم سيدتى . لقد سمعنا منك كثيراً هذه العبارة. إن اتعس أيامك التى مررت بها كانت بالنسبة لتعاستك هذه الأيام ترفا. نعم ياسيدتى. كان يوجد من يدللك ويتغزل فى جمالك وهندامك وأناقتك وسحر شخصيتك. كان يوجد من يحبك حقيقة ويتمنى أن يعيش معك. وكان رنين تليفونك فى المساء لا يشعرك بمذلة وحدتك هذه الأيام. لكنك لم تلتفتى لصدق أفكارك وتبعت تضليل خيالك العاطفى. هل تأملت صورتك فى مرآتك هذا الصباح ؟!. وجهك المجهد وعيناك الكسيرتان ونظرتك المهزومة وملابسك غير المهندمة وشعرك الذى ليس له منظر.

كان منظرك .. عفواً سيدتى لصراحتنا. كان منظرك مثل امرأة مطلقة حديثاً وليس لها أى أمل. مع أنك لم تكونى كذلك منذ عدة سنوات عندما كنت مطلقة حديثاً وحقيقة. كان الذى يراك يوم طلاقك

وبعدها يظن أنك تستعدين لزفاف. عفواً سيدتى . لم تعيشى تجربة المطلقات وقتها أنك تعيشينها الآن بسبب هجر حبيبك وجفوته. عفواً سيدتى، إنه كان مثل اللعبة الجميلة التى كانوا يحذروننا منها وقت الحرب إذا وجدناها فى الطريق فلا نلتقطها. لأننا بمجرد اللهو بها تنفجر فى وجهنا. وأنت ياسيدتى التقطت هذه اللعبة من الطريق وفرحت بها وقلت إننا فى وقت سلم فلا خوف، لكن الأعداء ياسيدتى يتربصون بنا وهاهى اللعبة الجميلة تنفجر فى وجهك وتؤلمك.

سيدتى إذا تتبعنا الخط البيانى للنفس نجده يرتفع قليلاً وينخفض قليلاً. يرتفع كثيراً وينخفض كثيراً. تذكرين الخط البيانى لنفسك عندما كان مرتفعاً كثيراً أول معرفتك به. وحسبت لخيالك الجامح أنه سيتعلق فى سقف حجرتك من الارتفاع وسيبقى مرتفعاً مثل زينات الأعياد والأفراح. مرتفع بكل الألوان الزاهية للأمل والحلم. مرتفع فى شمس الشتاء الدافئة وفى شمس الصيف الحارقة. مرتفع مع نسمات الليل المنعشة، ومع نسمات الليل الباردة. مرتفع ومعلق فى الأشجار الباسقة وفى أضواء الليل الحالمة. مرتفع مع خفقات القلوب المحبة والأجساد المرتوية مرتفع مع كل شئ، لكن الخط البيانى للنفس ليست هذه طبيعته . وانخفض الخط البيانى لنفسك ياسيدتى انخفاضاً ملحوظاً مثل درجات حرارة الجو فى تغيير الفصول. معك حق ياسيدتى في سؤالك لنفسك . هل يوجد أحد ينهى علاقة حب فى الربيع ؟!



لقد كانت بدايتها ذات ربيع بين الحقول الواسعة والأشجار المزدهرة التى كانت رائحتها تملأ المكان . بين روعة الطبيعة فى عيد ذلك الربيع التقيت به . مدعو كما كنت مدعوة وسط أناس كثيرين . أصدقاء ومعارف هذه الأسرة الغنية التى تعرفت عليها خلال صديقة لك لقضاء يوم جميل فى عزبتهم .. بالحركة البطيئة نصور سيدتى ذلك اللقاء الربيعى السعيد .. رجل فى عمر النضج الأربعينى عرف انك إمرأة مطلقة . تقدم إليك يعرفك بنفسه كأن نسمات الجو المعبقه برائحة الزهور تقدمه إليك ولم تدر ماذا جذبك له. وجهه الأسمر الجذاب قوامه المشوق . اناقة ثيابه الرياضية . أم حديثه الذى كان يقطر عذوبة وقتها . حسبته اولاً رجلاً مطلقا أو أرمل من هؤلاء الذين كنت تقابلينهم بالصدفة المرسومة من صديقاتك ومعارفك .

حسبته رجلاً من هؤلاء الذين يبحثون عن إمرأة مطلقة لترضى بالزواج منهم . حسبته واحداً من هؤلاء المرفوضين تماماً من أفكارك وما تودينه لحياتك المستقبلية . حسبته رجلاً متزوجاً يغازلك من خلف زوجته ، وسألته بطريق ملتو عن حالته الإجتماعية .

سألته أين زوجتك بين الحسناوات الموجودات ابتسامته ملأت وجهه . إنه ليس متزوجاً ولم يكن .. وأمام سؤالك الصامت . قال إنه لم يقابل من قبل التى تناسبه . وعندما قلت له باتهام إنه لابد يطلب كمالاً مستحيلاً فى امرأة . قال إن الحب الحقيقى هو الذى ينشده . وكان بريق

عينيه مسلطاً على وجهك فخفق قلبك خفقه لم تشعرى بها من زمن ، وانطلق خيالك العاطفى يصور لك أنه هو .. وأنك هى التى يبحث عنها .. لم تعرفى ياسيدتى وقتها أنه رجل شديد الاستقلال .. لايحب وإن بدا عاطفياً فى تصرفاته . إذا وجد نفسه منجذباً لامرأة فهو يبحث عن أخرى ليقسم عاطفته بينهما حتى لا تستولى واحدة على مشاعره . لايحب الإرتباط وإن بدا أنه يبحث عنه .

لم تهتمى سيدتى . بمعرفة شىء عن حياته السابقة أو الحالية . أو عن شخصيته . أعجبك أنه رجل أعزب لم يسبق له الزواج بخلاف الرجال الذين تقدموا لك فى السنين السابقة بعد الطلاق . عفواً سيدتى . هل أخبرك أحد أنك مغفلة ؟ فهؤلاء الرجال الذين رفضتهم ،تقدموا إليك بهدف الزواج . أما هذا الرجل .. سنترك لك أنت حرية الكلام . لتحكى لنا . لعل الكلام يخفف عنك صدمتك .

أماني

شعور قبيح هذا الذى تشعر به المرأة المهجورة من الرجل الذى أحبته . شعور قبيح عندما تجده قد فضل عليها أخرى . الوجه الجميل يكون جميلاً من الشعور الداخلى للمرأة . عندما نظرت فى المرآة أدركت ما بى من تعاسة فانفجرت فى البكاء . هل يمكن أن تتبدل ملامح الوجه هكذا كل من رآنى فى الأيام والشهور الأولى لمعرفتى به قال إننى أبدو جميلة كانت مشاعرى جميلة ، مضافاً إليها ذلك الشعور السخى الذى كان يعترينى كلما التقينا . أعطانى لقب حبيبتى . وأحببت اللقب كما أحببت اسمى " أمانى " ، قال إننى كل الأمانى التى كان يرجوها من الحياة . يا حياتى .. أجمل الجميلات تجد نفسها قبيحة فى المرآة عندما تشعر أنها مهجورة وأنها أصبحت غير محبوبة من هذا الذى أحبته تصيبها حالة إهمال لنفسها .

لم أحب أن أدخل فى مباراة خاسرة . إذا كان الرجل قد فضل علىَّ أخرى ماذا تنفع المحاولة لاسترداده ، لم أفعل ما ألوم نفسى عليه حتى يفضل علىَّ آخرى . لقد خرج بها للناس وظهر معها أمام معارفى . إذا كان لا يشعر بى ولم يعد يحبنى ؛ فمن العبث أن ألاحقه أو حتى أطلبه فى مجرد محادثة تليفونية ، لم أرد أن تنتهى الخديعة بخداع نفسى . يكفى ما حدث . لأستعيد احترامى لنفسى . حساسيتى الشديدة تضايقنى ، فلا أستطيع مجاراة العصر فى الرداءة ولا أستطيع أن أكون قوية بوحدتى . أحملها على كتفى مثل الكبرياء . حملها ثقيل على كتفى . على نفسى . على قلبى وعلى جسدى .. وألحت فى مقابلته . ربما وحدتى جعلتنى أطلبه ولأعرف حقيقة تلك الآخرى .

اخترت مكاناً من هذه الأماكن المحاطة بالأشجار المزدهرة التى كنا نلتقى فيها فى أوائل لقاءاتنا .. اخترت المكان لأعيد ذكرى لا يذكرها . لم أقل له هل تذكر ؟! .. فقط همست فى نفسى وأنا أنظر إليه وإلى المكان : " خسارة . لماذا نضيع عمرنا الجميل . لقد اخترتنى كما اخترتك بحرية . والتقينا كما تلتقى الزهور بالشجر ذات ربيع . فرحت بك كما فرحت بى ، وفرحتى جعلتنى أعيش بأمل إنه يمكن أن يحدث بيننا شىء جميل . خسارة . لقد رفضت فرحتى " .

جلست فوق كبريائى وسألته عن المرأة الآخرى . وتحدث بشخصيته المركبه وقال : " أحب أن أقول لك ملخصاً شديداً وهو أنى أحترمك . لم

أحترم امرأة فى حياتى كما أحترمك " .

قلت له : " هذه مشكلتك التى قلتها لك يوماً إنك لم تحترم امرأة . ربما لذلك خفت من إحترامك لى " قال : " أنا أحترمك لأنى أحبك " . قلت : " لا أدرى إلى متى ستظل مكانتك فى نفسى وأنت أصبحت تعاملنى بسخافة . تعبت من عدم ترحيبك بى فكيف تحبنى . ربما جئت تقابلنى اليوم مضطراً ، ولن أفعلها ثانية وأطلب مقابلتك " ..

وتحدث عن المرأة الآخرى بلا مبالاة وبلا احترام ، وتعجبت . هل تحدث عنها هكذا ليريحنى . وشعرت بالحزن فى داخلى . أردت أن أقاوم مشاعر الحزن والحسرة والخسارة وأتحدث بمنطق . لكن أى منطق فى العالم يصلح مع مثل هذه الشخصية المركبة ! . أسئلة كثيرة لم يجب عنها . ميّع الإجابة مثل الزئبق كانت اجاباته عن أسئلتى . مثل ، ألم تشعر بسعادة فى علاقتك بى عندما كنت أنا وحدى معك .. ومثل ، ألم تفكر فى الإستقرار العاطفى وأنت فى هذا العمر ؟

كانت أسئلتى واضحة وإجاباته مائعه . حتى لا أخذ عليه وعداً أو أستمراراً .. أو عودة . وإذا كانت نفسى أرتاحت لهذه المواجة إلا أن الحزن فى نفسى زاد باليأس من إمكانية إصلاح أو ترميم هذه العلاقة . زاد الحزن باليأس . لماذا يفسد الأشياء الجميلة . هذه التى كانت بيننا . لكنه لم يفسد شيئاً . هو هكذا . وأنا عرفت أخيراً . لم يكن حبه صادقاً . لم يعرف ماذا يعنى الحب وهذه الأشياء الجميلة . نظرت إلى المكان

حولنا . لون براعم الشجر الأخضر . اللون الوليد للأخضر يذكرنى بتلك الأيام الأولى البعيدة . رائحة الزرع النابت وزهور الثمار .

فى آخر اللقاء سألنى عندما أجد وقتاً أطلبه لنتقابل . لم أرد عليه . شعرت بالغم جاثماً على أنفاسى . من الصعب التعامل مع إنسان ليس له عواطف محددة .

قال : " لا أستطيع الإستغناء عنك . سأحدثك أنا " . لكنى لم أشعر بالاطمئنان والأمل . وعاد الشك ينخر فى رأسى وقلبى وعظام جسدى .

مع الصديقات

قالت صديقة متزوجة : " لا يوجد حب حقيقى فى مجتمعنا الآن .لم يعد الحب كما كان من قبل . الحب يتطلب ظروفاً مريحة .ونفوساً رائقة ، أما الهموم التى نعيشها فهى تجعل من الحب زيفاً " .

ضحكت صديقة أخرى متزوجة وقالت : " ربما لم نعد نرى الحب لأننا نجلس فوق الأربعين " ..

قالت صديقة مطلقة وهى تشير إلىّ : " أبداً .. فنحن " .. تعنى هى وأنا .. " ننتظر الحب " .

قالت صديقة متزوجة : " حضرت عيداً للحب فى البلد الأوروبى الذى كنت أزوره فى العام الماضى وشعرت أننى أحب كل من حولى وأهدانى رجل زهرة . حقيقة الحب يحتاج إلى نفسية مستريحة " .

قالت صديقة آخرى مطلقة : " سأرسل له خطاباً أقطع علاقتى به .

فهو يصنع مستقبله بعيداً عنى . هل سأظل هكذا أنتظر ، وهل يسمى هذا حباً ؟! "

قلت : " فى عالمنا الآن لم تعد الأشياء تصنع تماماً . ولا النظم تطبق تماماً ولا القوانين تنفذ تماماً فلماذا ننتظر من الحب أن يكون تماماً ؟!"

قالت صديقة متزوجة : " لم أعد أحب أحاديثكن . لم أعد أحب أحاديث القهر وفقد الأمل . الآن أنا أحب مصادقة الفتيات الصغيرات اللآتى يحلمن وينتظرن تحقيق أحلامهن . اللآتى يمرحن ويضحكن . وأحب أحاديثهن التافهة عن الموضة ونوع السلاطة فى المطعم ومهرجان الآيس كريم الذى حضرته معهن فى فندق كبير . هل فكرت واحدة منكن أن تحضر مثل هذا المهرجان . الآيس كريم الآن يوجع بطونكن " .

قالت صديقة مطلقة : " يا ست هانم قلنا إننا ننتظر الحب أين القهر وفقد الأمل " .

وتحدثن عن العمر والإحباط نكاية فى صديقتنا المتذمرة علينا وفكرت ، لم نعد فى عمر نحتمل الاحباط . أم أصبحنا فى العمر الذى لا يوجد فيه سوى الإحباط ؟ لم نعد فى العمر الذى تزينه أحلام اليقظة المفرحة . أم أصبحنا فى العمر الذى لا يوجد فيه سوى أحلام اليقظة المفرحة ؟! لم نعد فى العمر الذى يحتمل الوحدة المستديمة أم أصبحنا فى العمر الذى لا يوجد فيه سوى الوحدة المستديمة ؟ .. لم نعد فى العمر الذى يحتمل اللعب على العواطف . أم أصبحنا فى العمر الذى لا يوجد

فيه سوى اللعب على العواطف ؟!

تحدثنا عن الأشياء الجميلة التى كانت فى الماضى . ليس فقط فى أسعار الأشياء وندرة وجود ما نحتاج إليه ، ولكن أيضاً عن أخلاق الرجال والمجتمع ككل .

قالت صديقتنا المتذمرة علينا : " لن تنفعنا هذه المناحة التى نقيمها كل يوم على الماضى ، فسراديق العزاء الذى نقيمه داخل أنفسنا خاو . لا أحد يأتيه ليعزينا على فقد العزيز الغالى المسمى بالماضى .فالذى فات . فات والذى فات مات . استيقظن يا صديقاتى " ..

قالت صديقه مطلقة: " نحسدك على تفاؤلك وتطلعك الدائم إلى الحاضر والمستقبل " ..

ضحكت وقالت موجهة حديثها لى وللصديقتين المطلقتين :

" لا أستطيع أن أفهم لماذا تردن الزواج مرة أخرى. كل واحدة منكن حـرة مع نفســها مع أشيائها. مع وقتها. استمتعن بالحب . فلماذا الزواج ؟!.

قالت صديقة مطلقة : «أنت لا تعرفين خوف الليل وهوان الوحدة. بالرغم من وجود ابنتى معى أشعر أننى فاقدة شيئاً كبيراً في حياتى. وابنتى لا تعارض فى زواجى مرة أخرى. وبالرغم من احتياجى للزواج إلا أن حالتى النفسية. .. لا أدرى هل تسمح بهذا ؟!.

سألتها إحدى الزوجات : «هل مازلت تحبين مطلقك ؟!..

قالت : «كان فى فترة من حياتى وانتهت ».

قالت المطلقة الأخرى :« لقد رفعت شعاراً : انظر خلفك وابتسم . بدلاً من انظر خلفك فى غضب ».

قالت إحدى الزوجات موجهة الكلام لنا. نحن المطلقات الثلاث . «لماذا لم تذهبن إلى اجتماع المطلقات الذى حدثتكن عنه من فترة. وأعطيتكن عنوان الطبيبة النفسية الممتازة التى تقيم هذا الاجتماع كل أسبوع، وتقوم بهذا العمل الممتاز متطوعة لا تأخذ أجراً ..

قالت إحدى المطلقات :« أعتقد أن هذه الاجتماعات شئ مقبض للغاية».

قالت المتزوجة : «لماذا لا تجربن ».. ثم نظرت إلى وسألتنى « أماني . هل مازلت لا تشعرين أنك مطلقة ؟!»

نظرت إليها ولم أرد. وابتلعت دموعى خفية فى أحباط صامت.

مونولوج

لم تدر ياسيدتى لماذ استعدته . بعد أن عرفت طبيعته المتقلبة، وحبه لنفسه لدرجة تصل إلى هوس الأنانية ، ولا يهتم بمشكلات الناس ولا يحب أن يتدخل أحد فى حياته. بعد أن عرفت أنه بالرغم من معارفه الكثيرين وأصدقائه وصديقاته فهو منفصل عنهم نفسيا.. بعد أن علمت عدم انسياقه وراء عاطفة حب واحدة وعلاقاته دائما ثنائية وأحيانا ثلاثية !! ربما انتظرت وقتا كافيا إلى أن شعرت أنه بدأ يمل صحبة الأخرى وأعدته إليك. بانتظارك الملول أعدته. بالصبر اليائس أعدته. بالدعاء الذى لم ينقطع ببعض ماتبقى لك من حيلة أعدته. ربما لتعيدى كرامتك. لتعلميه كيف يحترم مشاعر امرأة تحبه. ربما ليفهم . لكن ماذا يفهم ياسيدتى !؟!

سيدتى لقد كنت مثل المقامر الذى يخسر كل نقوده على مائدة القمار ويستدين ومع هذا يستمر فى المقامرة. ربما ضربة حظ تعوضه الخسارة.

وتأتى ضربة حظ صغيرة فيكسب قليلاً.

ويستمر فى المقامرة ربما تأتى ضربة حظ كبيرة. ويخسر . وتستمر الخسارة ويستمر فى للمقامرة. سيدتى هكذا أصبحت حياتك معه.

فهل آن للمقامــرة أن تكف عن لعبة القمار والأمل فى ضربة حظ كبيرة ؟!

مشكلتك ياسيدتى أن كل من أحببته بما فيهم الذى تزوجته تخيلت إنه قديس ، أو كنت تحاولين أن تجعلى منه قديسا ، وتظنين .. بالسذاجة أفكارك أن الناس الذين يشاهدونه معك يظنونه كذلك. لكن كل الذين يعرفونه على حقيقته كانت الحقيقة واضحة أمامهم، ربما البعض أشفق على حالك معه. سيدتى لقد استمرت مقامرتك بالعودة إليه شهوراً طويلة، وأنت فى تلك الشهور تفرحين ساعة وتغتمين ساعات طويلة. إلى أن جاء الخريف، وشعرت بانقباض هائل، وقلت إنها سحب الخريف المقبضة وقدوم الشتاء. سيدتى هل نجعل أيامك كلها فصولا للربيع والصيف حتى تبتهجين ويعود إليك تفاؤلك ؟!

نحن فى خدمتك سيدتى. لكن نريد أن نذكرك بشئ هام، ليس قدوم الشتاء هو مايضايقك. لقد كنت ذات شتاء ليس ببعيد فى أشد حالات تفاؤلك عندما اعتقدت أنك التقيت بالرجل المثالى.

الرجل الذى عقدت عليه الآمال. ونعتقد ياسيدتى إن سبب اكتئابك هو هذا الرجل بالذات. بدليل عودة الربيع مرة أخرى وأنت مكتئبة ! مهما



قلت سيدتى إن الحيوية من داخل الفرد والأمل من أفكاره، فهذه الأشياء – معذرة لثقافتك المتنوعة – لا تتحقق إلا مع الآخرين. فإذا كنت قد استنفدت حيويتك فلأنه لا أحد، يغذى منبعها فنضب. وإذا كنت فقدت أمالك فلأن لا أحد يحققها معك. ربما أسوأ شئ يصيب الإنسان هو فقدان الأمل. سيدتى فى أحلك فترات حياتك التى مررت بها وأكثرها يأسا كان لديك أمل .. أمل التخلص منها. أمل فى أحلام يقظتك الوردية. أما الآن فى هذه الفترة من حياتك انعدم الأمل تماما. حتى الأشياء الصغيرة التى كنت تشترينها أو تفعلينها وتبهجك لم تعد تثير فيك البهجة. وتنتظرين ببلاهة معجزة تنتشلك. الآن سيدتى فى هذا الزمان لم يعد مكانا للبهلاء.

سيدتى .. لقد استمعت لأحاديث غريبة من معارفه. إن الرجل الذى لم يتزوج من قبل لا يمكن أن يتزوج من امرأة مطلقة أو أرملة حتى وإن تجاوز عمره الأربعين أو الخمسين. وبسبب كبريائك وحساسيتك المرهفة لم تدخلى معهم فى مناقشة حتى لا تفضحين تطلعك فى الزواج منه. وظننت بالسذاجة أفكارك أن حبيبك ليس المقصود بتلك الأحاديث المقصودة أمامك . فهو قد عاد إليك أو أنت قد أعدته إليك وتتقابلان من وقت إلى آخر وتخرجين معه من وحدتك المزرية . لكنك شعرت باليأس يلفك تماما عندما استمعت إلى تلك الأحاديث الغريبة وشعرت لأول مرة منذ طلاقك بوضعك الاجتماعى إنك امرأة مطلقة.

جمعية المطلقات

بيت صغير. فيلا من دورين . تحوطها حديقة صغيرة فوق الباب لافتة عليها اسم طبيب متخصص فى الأمراض الباطنية ، وبجواره اسم الطبيبة. متخصصة فى التحليل النفسى. طرقت الباب. فتح لى رجل أسمر ابتسامته سبقت سؤالى عن الطبيبة ورحب بى وقادنى إلى حجرة كبيرة فى الدور الأرضى. مجموعة من النساء جالسات، وفى الوسط جلست الطبيبة. عرفتها من ترحيبها. لقد حدثتها فى اليوم السابق وعرفت منها موعد الاجتماع.

قالت الطبيبة :« اعرفكن بصديقتنا الجديدة أمانى مقدمة البرامج المشهورة بالإذاعة». قلت مبتسمة .. ولا مشهورة ولا أى شئ». .. وضحكت بينما راحت الطبيبة تقدم لى الموجودات.

قالت الطبيبة : « أعرفك أولاً باجتماعنا قبل أن نستأنف الحديث . الراحة النفسية نجدها مع الذين فى ظروف متشابهة .اجتماع المطلقات

مثمر ومفيد لكل واحدة فالاندماج مع الآخرين فى مشاركة التجارب تجنب الفرصة للشعور بالشفقة على النفس.

وأيضا فرصة أقل للشعور بالشفقة على الآخرين.. وأريد أن اؤكد على قولى الذى أقوله دائماً، إن اجتماعكن لا يعنى أنكن منعزلات عن المجتمع. أو أن المجتمع يخرجكن منه ويتجاهل مشاكلكن . إجتماعنا هنا للتفريج عما فى نفوسكن وأفضل من جلسة مع صديقة تتشاركان فيها المرارة والكراهية لجنس الرجال. اليوم تتحدث صديقتنا «س» وهى مطلقة بعد عشر سنوات زواج. لها طفلان وزوجها تزوج من إمرأة صغيرة. تفضلى أكملى حديثك :

قالت المطلقة : «شعرت بصدمة كبيرة . لم أصدق أنه طلقنى، وبقيت شهوراً طويلة أفكر أنه سيعود لى. كلما رن جرس التليفون ظننت إنه هو. وعندما يأتى لزيارة طفلينا أنتظر إشارة منه أو تلميحاً أنه سيعود لى. والغريب أنه أصبح حنوناً معى ومع الطفلين . لكن لم أعد أحتمل حنانه وزياراته ورؤيته هكذا بلا أمل . وقلت له إنه من الأفضل ألا أراه ويذهب الطفلان إليه لزيارته. فهمت أنه يشعر بالذنب تجاهى لذلك كان يحاول أن يكون حنونا لكن شعور الغضب والإذلال النفسى جعلانى أقرر ألا أراه».

قالت الطبيبة : « عندما يريد أحد الزوجين الانفصال والآخر لا يريد يصبح الفقد مثل صدمة الفقد بالموت. بعض المطلقات يتعلقن بأمل

العودة لأزواجهن . ويعتبرن نهاية زواجهن أقسى فشل وأنهن فقدن شخصياتهن. ويأخذن وقتا للتغلب على هذه المشاعر حتى يعتبرن أن الزواج ليس هو فقط أهم شئ فى حياتهن »..

قالت المطلقة التى تركها زوجها ليتزوج أخرى : « لا أستطيع أن أفهم إلى الآن لماذا تركنى وماهو العيب فى . أعتقدت أننا فى زواج ناجح.. ماذا حدث ؟. عملى مهم لأنى فيه أنسى مأساتى، لكن لا أشعر بالهدوء. مضت سنتان ومازلت أشعر بغضب ، وأنه خدعنى وظلمنى. لقد ساعدته فى شق طريق عمله. وكرست وقتى لتربية طفلينا ويتركنى هكذا من أجل فتاة صغيرة لعبت بعواطفه ؟!. لقد رأيتها يوما وبدت لى إنها بلا مشاعر. أنانية ومستغلة . وتعجبت كيف يكون بهذا الذوق الفظيع ؟»..

قالت الطبيبة : « المرأة الجديدة جزء من الصدمة وليس الطلاق فقط. فأنت تشعرين أنك خدعت فى زوجك واعتقدت لعشرتكما أنك تعرفينه تماماً. لم تعرفى نقط الضعف فيه. ربما تكون حياة زوجك الجديدة تحدياً له ويريد أن يحقق نصراً فيه. وربما لم يجد فى حياته الجديدة ذلك السحر والافتتان الذى فكر فيه من قبل. وربما وهو يشعر بسعادة فى حياته الجديدة مازال يتذمر ويندم على فقد حياته القديمة.

قالت المطلقة : «أرجو أن يندم ويعود لى ».

قالت الطبيبة لى : «أمانى . هل تريدين الحديث اليوم عن قصة

طلاقك أم تريدين الانتظار ليوم آخر حتى تشعرى بالألفة معنا »؟

دارت عيناى بين النساء الجالسات ، شعرت أننى اختلف عنهن .

قلت : «ليست لدى قصة طلاق. ولم أشعر أننى امرأة مطلقة. لم يكن لدى مشكلات أمومة ولا مشكلات مادية. أو سكنية أو نفسية. مشكلتى أننى لم أشعر أننى أمرأة مطلقة إلا بعد أن فقدت الأمل فى الارتباط بالرجل الذى أحببته بعد الطلاق. وسمعت لغوا من معارفه بما معناه أن الرجل الذى لم يتزوج من قبل لا يفكر فى الزواج من مطلقة. لا أريد أن أضيع وقتكن يبدو إننى حضرت خطأ.

قالت الطبيبة : «بالعكس ياأمانى مشكلتك مهمة جداً وهى نظرة المجتمع للمرأة المطلقة. وهذا ماسنناقشه معا فى الاجتماع القادم».

الـوردة

عندما علمت أنه لم يترك الأخرى بالرغم من عودته لى : لم أصدق . ذهبت لأتحقق مما سمعته فى كل مكان تعود أن يذهب إليه، وكنا أيضا نذهب معا . فى أماكن وسط المدينة. فى نادي رياضى : فى حديقة فندق. وشاهدتهما معا : راقبتهما معا. أولا بجنون : ثم بحزن : ثم بتقبل للأمر الواقع. هكذا هو يحدثنى ويقابلنى كما لو كانت الأخرى ليست موجودة فى حياته.

عندما اتخذت القرار بالعودة إليه أو باستعادته من الأخرى وبدء حياة جديدة معه كنت مخططة لأنى لم أساله إذا كان مستعداً ليتخذ مثل قرارى : كنت فرحة بالأحلام الصغيرة التى يحققها لى ، عندما وجدت أنه لا يتحدث عن مستقبلنا معا. ويهرب من أية كلمة أمل، عندما فهمت أنه لا أمل ولا حلم يتحقق معه أقنعت نفسى إن أبقى هكذا معه،

ليكون صحبتى من قت لآخر ليخرجنى من وحدتى . لكن الأمل أقوى من تقبل الأمر الواقع، والحلم يلح فى حياة مستقرة معه. وهذه المقابلات لم تخرجنى من وحدتى. والوحدة تولد الخوف من الحياة كلها. وأصبحت اتصرف بعصبية معه. فيقول إنه يبتعد عنى لأنه يشعر أنه يضايقنى . لم أستطع أن أقول له إننى أعرف سبب ابتعاده عنى لأيام طويلة. لم أرد أن يجرحنى بكلمة أو تصرف. ولم أرد أن يعطينى أملاً كاذباً بالحديث عن الأخرى بلا مبالاة وتأكيده أنه لا يستغنى عنى كما حدث من قبل. إلى أن شاهدتهما فى مسرح وكانت معهما أمه. خفق قلبى. سقط قلبى . كنت جالسة فى «بنوار» مع صديقتين وزوجيهما عندما شاهدتهم يدخلون صالة المسرح، تراجعت فى مقعد خلفى حتى لا يرانى

لقد عرفنى بأمه ذات يوم فى أوائل شهور معرفتنا، وقال بعد تلك المقابلة أنها اعجبت بى وتعجبت لأنى مطلقة وقالت له من هذا المغفل الذى يترك امرأة مثلها ؟! وفرحت وقتها لأن أمه أعجبت بى ولأنه لن يكون مغفلاً !!

لكنها لم تدعنى مرة أخرى. سألته عنها كثيراً. وعندما كانت ترد على مكالمتى التليفونية كانت تتخلص بهدوء من محادثتى ولم أفهم وقتها. ربما بدأت أفهم عندما سمعت من أصحابه أن الرجل الذى لم يتزوج من قبل لايمكن أن يتزوج من أمرأة مطلقة. ربما فهمت أن هذا رأى أمه الذي هو رأى العامة والجاهلين فى المجتمع، أما هو، المثقف ، المتفتح لا



يمكن أن يكون هذا رأيه. وعندما شاهدتهما مع أمه فى المسرح سقط قلبى، وايقنت أن هذا هو رأيه أيضاً .

لم أهتم كثيراً بالمرأة الأخرى إلا بعد أن شاهدتهما مع أمه، واستعلمت عنها وعرفت أنها موظفة فى فرع أخر من فروع البنك الوطنى الذى يعمل به، وأسرتها تملك عمارة جديدة كبيرة وتصغره بخمسة عشر عاماً وتصغرنى بثماني سنوات. بالرغم من هذه الحقيقة الواضحة أمامى قررت أن أقابله لأتحدث معه، وأنا لا أدرى ماذا سأقول له : من شهور حذرتنى صديقتى المقربة من النكسة التى يمكن أن تعقب مثل هذه العودة لحب بلا أمل : لم أصدقها وقتها : لكن بعد استمرار شعورى بالإحباط صدقتها وأخيراً نصحتنى أن أتركه تماما وأشفى من هذا المرض، فأنا فى حالة مرض وليست حالة حب .. وقابلته . لأساله ماذا أكون بالنسبه له. ولماذا يقابل الأخري بعد أن تحدث عنها بلا مبالاة وكيف يعرفها بأمه بعد أن تحدث عنها بدون احترام : قابلته لاحتياجى لكلمة حلوة. ولمسة حنان ولمحة أمل. لكن لم أستطيع أن أحدثه فى شئ من هذه الأشياء التى تؤرقنى ولم أسأله سؤالا من هذه الأسئلة التى تؤلمنى. خفت أن يجرح مشاعرى. شعرت بجفوني ثقيلة وأردت أن أنام.

أثار جلوسى معه فى مقهى الفندق كل ذكرياتى معه. نظرت إلى الوردة الوحيدة فى الإناء الصغير على المنضدة بيننا. رفعت الإناء لأشم الوردة . قال إن الوردة صناعية. قلت : «تحسبها من بعيد أنها وردة

صناعية من دقة صنعها وتماسكها. ولا تستطيع أن تكشف أنها حقيقية إلا إذا اقتربت منها كثيراً ستجد لها رائحة جميلة وتعرف أنها حقيقية .. هكذا أنا ».. أخذ الإناء من يدى وشم الوردة وابتسم.

كنت أريد أن أرفع من روحى المعنوية قليلاً فشبهت نفسى بالوردة : حكى لى عن المسرحية التى شاهدتها وتأكدت أنه لم يرنى ليلتها. سألته من كان بصحبته فى المسرح. قال أسم صديق له أعرفه. وهززت رأسى. سألته عن صحة أمه، تمتم بكلمات مضطربة. أنها بخير. هززت رأسى وأنا أتذكر أنه بعد مقابلتى مع أمه أصبح يؤجل تعارفه على والدى . شعرت بجفونى ثقيلة وأردت أن أنام ، وقررت للمرة الألف ألا أقابله، فالوحدة أفضل من الإحباط. فهل سأتحمل وحدتى ؟!

جمعية المطلقات

قالت أمرأة مطلقة فى الخامسة والثلاثين من عمرها كلاما مشاعاً عن المطلقات. إنهن مطمع الرجال ، وأن النساء المتزوجات قريبات أو صديقات المطلقات يخشين على أزواجهن منهن، وحكت حكاية سخيفة عن معاملة صديقة لها متزوجة اتهمتها بطريق غير مباشر فى محاولة سرقة زوجها ! وإن المطلقات فى مكان العمل موضع شائعات وحركاتهن مرصودة وعموماً فنظرة المجتمع للمرأة المطلقة فيها شك وإنها هى السبب فى الطلاق، وتعالت تعليقات بقية المطلقات فى الاجتماع تأييداً لكلامها.

لاحظت الطبيبة النفسية تململى من الجلسة فسألتنى عن رأى ؟

قلت : «ليس بالضرورة أن تكون المرأة مطلقة لتكون مطمعاً للرجال. وليس بالضرورة أيضاً أن تكون موضعاً للشائعات، وأن تفقد احترامها من نظرات الشك فى مكان عملها لمجرد إنها مطلقة. أنا شخصياً لم أشعر

بهذا الاتهام فى مكان عملى ، ولم أشعر باهتزاز الاحترام لشخصى من زملائى. ومعظم صديقاتى متزوجات ويستقبلننى فى بيوتهن بترحاب وأخرج للسهر معهن وأزواجهن ولم أشعر بخوف إحداهن على زوجها منى، وأعتقد أن المشكلة النفسية التى تعانى منها المرأة المطلقة تجعلها تتخيل أشياء وهمية وتشك فى المجتمع حولها وفى تصرفاته حيالها »..

نظرت إلى إحدى المطلقات وقالت :« أستاذة أمانى لماذا تتعالين علينا وأنت نفسك قلت فى الاجتماع السابق إنك لم تشعرى بأنك امرأة مطلقة إلا بعد أن صدمتك نظرة المجتمع وحبيبك بالذات. إننا لا نتخيل أشياء فهذه حقيقة نعانى منها ».

حدثت همهمة بين النساء . قالت الطبيبة :« أخواتى لا نريد أحاديث جانبية. إننا هنا للأحاديث الجماعية لتفصح كل امرأة عن المناطق المحطمة فى نفسها ، لنعرف المخاوف المشتركة وعدم الأمان. بهذه الأحاديث الجماعية تتغلبن علي مخاوفكن وتقوين داخلياً . فالتقوية الداخلية للمطلقة مهمة حتى تستطيع أن تتعامل مع المجتمع خارجياً. اتهام نظرة المجتمع للمطلقات حقيقة وأيضاً كلام أمانى حقيقى.. المهم ماذا تشعر به المطلقة تجاه نفسها. الحديث يساعدكن على تخريج مافى نفوسكن من الم واستياء، وعندما تستمعن إلى أحاديث بعضكن تفهمن لماذا تحطمن صوركن لأنفسكن وتتغلبن على الخيالات السلبية».

قالت إحدى المطلقات :« يادكتورة. الطبيب يعرف نظرياً آلام المريض

الذى يعالجه لكنه لا يشعر بما يعانيه من الم إلا إذا كان قد جربه من قبل ».. ابتسمت الطبيبة وقالت :« أفهم ماذا تقصدين فأنا زوجة لطبيب وأم لبنتين فى الثانوى والجامعة وأعيش زواجاً موفقاً ، ولا أريد أن أضيع وقتكن فى سرد حكايتى القديمة، لكن باختصار شديد فهذا زواجى الثانى، لقد عانيت من فترة طلاق طويلة وأنا فى أول عمرى الشاب ومرضت لأنى لم أحك مشاعرى لأحد. لذلك بعد دراستى المتخصصة قررت الاهتمام بمشكلة المطلقات النفسية. وأخيراً قمت بهذه التجربة العملية لجمعية المطلقات لأساعدكن».

سادت فترة صمت وسألت الطبيبة السؤال الذى يحيرنى هل كانت الزيجة الأولى لزوجها الثانى ؟!

فهمت الطبيبة قصدى وقالت :« توجد نظرية تقول إن لكل امرأة مطلقة يوجد رجل مطلق. وقد وجدت صحة هذه النظرية من قراءاتى وأبحاثى التى قمت بها أثناء دراستى فى الخارج».

شعرت بإحباط وقلت : «يعنى زوجك كان مطلقاً أيضاً».

قالت الطبية :« نعم وكان في مثل عمرى وليس لديه أطفال مثلى. التقينا أثناء دراستنا فى الخارج وعندما طلب منى الزواج تعجبت أنه يفضلنى عن كثيرات لم يتزوجن من قبل، وقال لي جملة لم أنسها، إنه يستطيع أن يفهم ظروف امرأة مطلقة. كما إنها تستطيع أن تفهم ظروفه عن فتاة لم تتزوج من قبل. من جملته تلك قمت ببحث هذه النظرية».

قالت إحدى المطلقات :« فى مجتمعنا الرجل المطلق بسهولة يتزوج من فتاة لكن نادراً ماتتزوج امرأة مطلقة من شاب لم يسبق له الزواج ».

وقالت مطلقة أخرى :« أعتقد أن الرجل المطلق لا يستطيع أن يعيش بدون زواج لأنه تعود على أن يجد من يخدمه، أما المرأة المطلقة إذا كانت لا تعانى من مشكلات مادية وسكنية فمن الأفضل ألا تتزوج مرة ثانية ».

قالت الطبيبة :« إذا كان الرجل يفتقد الخدمة ، فالمرأة تفتقد الصحبة حتى فى الزواج السيئ توجد بعض المزايا للصحبة ورفض الزواج مرة ثانية يكون بسبب تجربة صعبة سابقة والشك فى الجنس الآخر. لكن الإنسان عندما يحب ويكون محبوباً فهذا أعظم دواء للجروح السابقة ».

مونولوج

سيدتى لماذا مشاعرك أصبحت مشوهة، وتشعرين بإحباط من أقرب الناس إليك وأبعدهم عنك، وكان إحباطك واضحاً على وجهك مع شعور بالغيرة وأنت تنظرين إلى صديقتك وزميلتك التى قابلتها فى الصباح. لقد لاحظت إنها كانت مشرقة ومتفتحة للحياة عندما أخبرتك أنها قضت سهرة ممتعة فى بيتها مع زوجها وأصدقاء امتدت إلى الساعات الأولى في الصباح . وذكرت لك ربما عن قصد أو بدون قصد أسماء أصدقاء وصديقات مشتركين بينكما. ربما شعرت بالغيرة لأنها لم تدعك إلى تلك السهرة. وبدأت تتحرك في نفسك عقدة لم تلتفت لها من قبل وهى أنك امرأة وحيدة ومطلقة فلم يعد يدعوك أحد لسهراته. سيدتى لا تنظرى إلي جانب واحد من العملة وتقولى إن صديقاتك واصدقاءك زهقوا من صحبتك . فصديقتك هذه ليست كل صديقاتك . هى تتصرف بعفوية التقاليد العتيقة ولا تدعو إلى سهراتها سوى الأزواج والزوجات وكانت تدعوك مع مطلقك. الآن تفهمين لماذا كانت تقدمك لضيوفها على أنك

حرم فلان ولا تقدمك على إنك المذيعة أمانى أو مقدمة البرامج فى الإذاعة، هى ليست مثلك ياسيدتى أنت تحبين عملك وتحبين أن يعرفك الناس بصفتك العملية، وإن كان عملك هذا لم يقدم لك شهرة ولا عائداً مالياً مجزياً فالبرامج الثقافية التى تقدمينها فى البرنامج الثانى والثالث والرابع لا يهتم بها أحد. ومع ذلك تحبين أن ينادوك بصفتك العملية وليس بصفتك الاجتماعية ، وصديقتك هذه تحب أن تقدم النساء بصفتهن الاجتماعية فاعذريها سيدتى إنها لا تدعوك إلى سهراتها فهل ستقدمك على أنك المطلقة أمانى ؟!

سيدتى لقد شعرت بالغيرة من صديقتك لأنها سهرت طوال الليل سهرة مبهجة وكانت منتعشة فى الصباح، أما أنت فكنت نائمة طوال الليل مع أحلامك المزعجة فقمت على هذه الصورة المحبطة الخاملة فى الصباح!

سيدتى حدثناك من قبل عن أهمية العناية بصحتك النفسية التى ينعكس سوءها على صحتك البدنية، لكنك أصبحت مستسلمة للقلق وتنامين كل ليلة بخوف كأن الغد يحمل لك مقلباً وليس أملاً نعم سيدتى نعرف أن تصرفات حبيبك هى السبب ونفذ قرارك أنت بالابتعاد وابتعد هو ! . فلماذا تعذبين نفسك بدعواتك عليه ؟. ماذا أفادك السخط عليه . الكراهية تزداد فى نفسك ، والحقد يشوّه صورتك . ماذا استفدت من القلق ؟ . ويزداد حقدك عليه كلما تعمدت مقابلته صدفة . أو عرفت أخباره من معارفه ، ووجدته أنه مستمتع بحياته . وكأنك تلومين الذى



لا يُلام ، لماذا وهبه وأعطاه ! ..

سيدتى بدلاً من الكراهية التى تمتص حيويتك ، وبدلاً من الحقد على العالم كله لماذا لا تبدلين مطالبك ؟ . الدعوة الحلوة تحلى النفس وتجعل الطمأنينة فى القلب ببريق من الأمل . لماذا لا تطلبين من الله أن يعوضك عن عذابك وآلامك ويوفقك إلى صحبة جميلة تزيل عنك كآبتك وتمحى حقدك وتجدد حيويتك . الذى حدث لك ليس غريباً أو مصادفة ، أنت عرفت من فترة ولم تفهمى ، أو فهمت ولم تريدى أن تفهمى أن هذا الرجل ليس لك . فكانت محاولات العودة إليه ثم الجفاء ثم العودة ولم تفهمى من أول صدمة أنه ليس لك وأنك كنت نزوة من نزواته . ربما فهمت هذا لكنك لم تريدى أن تفهمى .

سيدتى لا تضيعى وقتك فى الحقد الذى يجهدك ، فى انتظار المستحيل . قولى لنفسك أنه انتهى من حياتك . قولى لنفسك .

" إننا لا نصلح معاً . أو إنه لا يصلح لى فأنا لا أتحمل هفواته وتصرفاته والأفضل ألا يكون هو " . لا تضيعى وقتك فى هلوسة الخيالات المريضة والأيام الأولى معه . كل شىء فى أوله جميل . لا تضيعى وقتك فى البكاء على ما فاتك . جميل إنك جلست مع نفسك أخيراً وحدثتيها بصراحة . كنت محتاجة إلى هذا الحديث مع نفسك ، فهذا الرجل ليس رجلاً لإمرأة واحدة ، وقد عرفت أن زميلته الصغيرة الغنية وافقت عليها أمه ، وتحدث معارفه عـن قـرب زواجه منهـا ،ومع

ذلك شوهد مع امرأة آخرى فى ملهى ليلى !!

أفيقى سيدتى وطهرى نفسك بصلاتك ودعواتك الحلوة وليست الحاقدة . إدهنى وجهك بهذا الكريم المنعش . غيّرى تسريحة شعرك . تجملى لنفسك . ولا تعودى إلى الدعوات الحاقدة .

نعم سيدتى أنت بشر ، ولأنك بشر فلك إرادة لابد أن تستخدميها لضبط نفسك وتطهير قلبك .

أمانى

قضيت ليالى كثيرة مع نفسى أتساءل عن الظالم والمظلوم والإحباط وجرح الكبرياء ، وكانت تسيل دموعى فى حالة مفزعة وحقيرة من انخفاض الروح المعنوية . وقلت لنفسى أخيراً إذا أردت الإرتفاع بروحى المعنوية علىّ أن أتقبل الأشخاص كما هم وأضعهم فى موضعهم الصحيح ، لا أزوقهم بخيالى وألبسهم ما ليس فيهم . أيقنت أن المشكلة الحقيقية مع نفسى . هى مشكلتى أنا وليست مشكلته هو !

مشكلتى أننى محتاجة إلى رجل يحبنى ، يحتوينى ويكون صحبتى الدائمة ، فزوقته بخيالى وأمالى ووضعت عليه ماليس فيه ليكون رجل أحلامى . عندما عرفت أنه مع وجه جديد غير زميلته الصغيرة المرشحة للزواج منه لم أشعر بالغير أو المهانة . شعرت بالقرف . فأى حب فى العالم يمكن أن يستمر بلا مبادلة أو يستمر مع الخداع ؟!

وبدأت أحل مشكلتى . ألا أحتاج له ، فلم أطلبه لأسأل عليه أو

ليقابلنى . ولم أعد أذهب إلى الأماكن التى يتردد عليها لأقابله صدفة . وعندما طلبنى أخيراً وسألنى أن أقابله بعد أيام طويلة من ابتعاده ، لم أفرح كما كنت أفرح من زمن ، ولم أرفض . ليكن صحبة لأوقات قصيرة بدلاً من الوحدة الدائمة . وقابلته .

لقد كانت الليالى السابقة الطويلة بعذاباتها. وتلك الآهة الكبيرة التى خرجت من أعماقى وقرارى تجاهه.. كل هذه الأحداث جعلت فى داخلى نوعاً من السكينة النفسية . حديث عام دار بيننا وتعجبت من شوقى إليه الذى كان .. ودموعى التى كانت .. وحقدى ودعواتى عليه !.. تعجبت إننى لم أتعلم إلا مؤخراً أن أضع كل شخص فى مكانه الصحيح. ومكانه الا التصق به. سألته سؤالاً عابراً بلا اهتمام : هل ستتزوج ؟ ».

تعجب من سؤالى وقال إن هذه الفكرة لم تطرأ على رأسه مجرد الفكرة. تعجبت من نفسى إننى ارتحت لإجابته. قال : «لماذا سألت هذا السؤال ».

قلت : «مجرد سؤال».

قال : «وهذه إجابتى».

حدثنى عن أماكن كان فيها. لم أساله كان مع من ؟ فهى أماكن لا يذهب إليها الفرد وحده.

حدثنى عن امرأة اجنبية أرسلها له أحد معارفه ليجد لها عملاً فى ملهى ليلى. لم أسله لماذا هو بالذات يقوم بهذه المهمة. لاحظ هدوئى

وعدم معاتبتى له.

فسألنى بنبرة صوت حنونة أفهمها جيداً وهو يمسك يدى : «مازلت تحبيننى . أليس كذلك ؟!».

سحبت يدى من يده وقلت له : «حددت علاقتى بك فلا توجع رأسى».. فوجئ بإجابتى وسألنى أن نذهب إلي مقهى فى حى الأزهر لنشرب الشاى الأخضر الذى أحبه. . فى اليوم التالى قالت لى زميلة وصديقة فى العمل :« رأيتك بالأمس فى ساحة الحسين. كنت أجلس مع أقارب فى مطعم مرتفع عن الساحة ، وقلت لا يمكن أن يكون هذا الرجل حبيبك . منظركما لم يكن فيه انسجام اثنين محبين وكنت أنت بادية الحيرة. تسيرين فى اتجاه ثم تسيرين فى اتجاه آخر».

قلت لزميلتى . «فعلاً ليس هو ». كأنى أنفى تماماً وجوده فى حياتى.

المرأة عندما تجد الرجل الذي تحبه لا يبادلها الحب. لا يعتنى بها وفوق كل هذا يخدعها ويخونها تنفى وجوده من حياتها . سأنفى وجوده من حياتى حتى للجن الأزرق..

لكن العواطف لا تنتهى فجأة . الحب لا ينتهى فجاة. أحياناً يأتنى الشوق إليه زاحفاً مثل الجيوش الزاحفة فى صمت الليل . تسيل دموعى قليلاً . أشغل نفسى بأعمال يدوية. أعد طعام العشاء لوالدى بدلاً من أن تعده أمى ، وأشاركهما جلستهما حتى وإن لم اتبادل معهما الكلام.

والغريب أنه أصبح يسأل عنى هو من وقت لآخر . ويطلب اللقاء . وأقابله . أحياناً أضبط نفسى وأنا فرحة فى طريقى إلى لقائه . وأحيانا اؤنب نفسى لماذا أقابله. ولما وجد أننى أعامله كصديقة وليس حبيبة أصبح يحدثنى عن النساء فى حياته وهذا لم يعجبنى . فأنا لست طبيبة نفسية أقوم ببحث عن شخصيته المركبة.

لقد كنت أحبه. هذا الجلف ألم يقدر مشاعرى ؟! أيقنت أننى لا أستطيع أن أكون صديقته. الصداقة يمكن أن تتحول إلى حب أما الحب فمن الصعب أن يتحول إلى صداقة. كيف كنت أتصرف معه بحرية وانطلاق ثم اكبت حريتى هكذا فى صندوق الصداقة ؟! أيقنت أن هذه العلاقة ثقيلة لا أفهمها ولم يعد وجهه هو الوجه المريح الباسم الذى أشتاق لرؤينه. لم تتبدل ملامحه. نظرتى هي التى تبدلت ، والويل للرجل الذى تتبدل نظرة حبيبته له.

السهرة

قالت صديقتى المضيفة : «مرحباً بك ياأمانى من زمن لم تحضرى سهراتنا». سلمت على الموجودين والموجودات فى سهرة صديقتى أو الاجتماع الذى تدعو له صديقاتى المتزوجات من حين لآخر فى بيوتهن. تدعين صديقات وأصدقاء الزمن الجميل. زمن صداقتنا وزمالتنا فى الجامعة بالرغم من أننا نعمل فى أعمال مختلفة. كان فى بيتها ثلاثة أصدقاء وزوجاتهم ، وصديقتان وزوجاهما. وصديقة لم تتزوج. وأنا . ثم جاء وجهان جديدان لشاب وفتاة من أصدقاء جدد لصاحبه الدعوة أو لزوجها.

قالت الصديقة التي لم تتزوج :« بعد هزائم كثيرة فى حياتى ارتفعت فوق هزائمى وأعيش الآن فى قوة نفسية عظيمة». ثم مالت على وكنت أجلس بجانبها همست فى أذنى « ماذا فعلت فى هزائمك؟» . قلت لها هامسة : «تكورت فى نفسى». قالت لى بحماس : «ارتفعى ولا تتكورى فى نفسك » قلت لها :« أحاول أولاً أن أفرد جسدى المتكور

ونفسى المتكورة وليأخذ هذا دوره بعدها أستطيع الارتفاع فوق هزائمى». سأل أحد الأصدقاء صديقتنا التى ارتفعت فوق هزائمها كيف فعلت هذا ؟.

قالت : «بدأت هذا الارتفاع عندما علمت أن الرجل الذى أحبه تقدم لخطبة أخرى ورفضته. علمت أن خطيبته لم يعجبها ماعرضه عليها من مهر وشبكة وقالت له إن مايقدمه لها ليس برستيجى».

ضحكنا من طريقتها فى سرد شماتتها بالرجل وسألتها صديقه هل عاد لها بعد معرفة أن مايقدمه ليس من مقام الأخرى ؟.. قالت : «فعلاً حاول العودة لى. حقيقة أنا أرتحت لما وجدته هزم كما هزمنى لكنه مادام فكر بالزواج من أخرى سيفكر مرة ثانية ويتركنى ، وقلت لن أخدع مرة ثانية وتركته».

قال صديق :« عمل الإنسان الذى يحبه لا يخدعه. يملأ حياته ونفسه ويكون له سدا مانعا أمام عواصف خداع الناس». قالت صديقة : «الرجل بعمله يستطيع الاستغناء عن المرأة أما المرأة فلا تستطيع . قليلات من استغنين بعملهن عن الرجال، لكن فى أعماقهن ، أشك فى هذا . لابد أن تكون هذه المرأة فقدت كل أحلامها وقتلت خيالها حتى تستطيع الحياة بودن رجل».

قال صديق : «ياستات من قال لكن إن الرجل يستطيع الحياة بدون امرأة».. قالت الصديقة التى لم تتزوج :« لا داعى للفلسفة إننا لا

نستغني عنكم وأنتم لا تستغنون عنا».

قالت صديقة : «كل شئ يتغير فى الكون ماعدا العلاقة بين الرجل والمرأة العلوم التى كان يعرفها الناس من قرون بعيدة تغيرت. والطب يتغير والملابس. كل شئ يتغير ماعدا العلاقة بين الرجل والمرأة..».

قال صديق للصديقة التى لم تتزوج .. الم تيأس من انتظارها للزواج أو على الأصح من انتظارها للرجل الذى تريد أن تتزوجه ؟!

قالت : «أقول لك . أنا عندما أقف فى الطريق انتظر سيارة أجرة لمدة طويلة أقول فى نفسى لابد أن تأتى سيارة أجرة توصلنى لهدفى مهما انتظرت. وهذا يحدث فعلاً . وهكذا أقول بالنسبة للزواج إنني مهما طال بى الانتظار سيأتى من يوصلنى لهدفى. يعنى الزواج ياجماعة قلت لكم إننى ارتفعت فوق هزائمى». وضحكنا.

تحدثنا عن رجل مشهور . عرفناه وصادقناه فى فترة بعيدة من حياتنا فى أول تخرجنا وعملنا. تحدث صديق عن امرأة ثرية كانت تطارده. وقال آخر إنه كان متوهج الخيال والكذب وكان يحكى عن النساء كما لو كان هو الرجل الفحل الوحيد فى البلد. قال آخر : كان الرجل خفيف الظل وحكاياته الغرامية مسلية. سألتنا صديقة. هل حكى لكم عن علاقته بمدرسة الألعاب الرياضية التى كانت تعلمه تدريبات رياضية لتقوية العلاقة الجنسية ؟!

وضحكنا . وذكرتنا صديقة عندما صحب الرجل فتاة نعرفها فى نزهة

وعضها فى كتفها، وجاءت لنا الفتاة تحكى باكية عن صديقنا الكبير أنبناها لأنها خرجت معه وحدها ولما قابلناه، وعاتبناه قال لنا : إنه حاول أن يدخل الفتاة فى تجربة لأنها كانت بلا تجارب، ولما أنبناه . وهل تعضها . قال ضاحكاً : لأنها رفضت التجربة وضحكنا . وقالت الصديقة المضيفة لزوجها إن الرجل الكبير كان يحب صداقة الشباب وكنا نلتقى به دائما فى مجموعة فقال لها إنه لا يتهمنا .. وربما تعجب الوجهان الجديدان فى سهرتنا من تخففنا من ذكرياتنا.

الضحك الذى ضحكته فى السهرة أنعشنى، وشعرت إننى أستطيع الارتفاع فوق هزائمى.

جمعية المطلقات

قالت الطبية النفسية : الآن على كل مطلقة أن تعيد التفكير فى حياتها الزوجية وتختبر كل تصرف بل وكل كلمة قادت إلى نهاية الزواج. ربما إعادة التفكير تظهر لها الوجه الحقيقى للزوج وتفهم أخطاءه وأخطاءها تجاهه. المهم أن تعرف المطلقة الأخطاء التى حدثت فى حياتها الزوجية حتى لا تقع فى نفس الأخطاء إذا لم تفعل المطلقة هذا. أى تقوم بتقييم لحياتها السابقة فى الزواج سيتكرر الخطأ مرة أخرى وستمر بنفس المصاعب والمشاكل السابقة. إذا كانت المطلقة تشكو دائما أنها ضحية وتتهم مطلقها، ستنتهى بشعور دائم بالشفقة على النفس وهذا الشعور لا يساعدها على عبور الأزمة، فهو شعور يقود إلى لا شئ. ومن ناحية أخرى شعور الشفقة على النفس حماية لها من معلوماتها عن نفسها. لذلك أنصحكن أن تراجعن بامانة مع أنفسكن الأخطاء فى حياتكن الزوجية».

قلت : «يادكتورة كل مطلق ومطلقة يحب أن يسرد أخطاء الآخر

ليعطى تبريراً معقولاً للطلاق من الصعب أن تجدى من يعترف بأخطائه. «قالت الطبيبة» : لذلك أريد منكن أن تفكرن وحدكن في الأخطاء التى وقعتن فيهاً». قالت مطلقة :« الرجل المطلق لا يشعر بما نشعر به بعد الطلاق ولا يمر بأزمة مثل الأزمات النفسية والاجتماعية التى نمر بها نحن المطلقات».

قالت الطبيبة :« حقيقة بعض الرجال المطلقين يأخذون مسألة الطلاق بسهولة ويمرون بالتجربة بدون أزمات شديدة وهذا تبعاً لطريقة حياة الرجال فهم أكثر حركة من النساء وينسون مشاكلهم فى علاقات عاطفية قصيرة أو الانهماك فى أعمالهم. وهم لا يبتعدون عن المجتمع». قالت مطلقة : «الرجل المطلق يدعى فى كل مجتمع بينما المرأة المطلقة لا يدعوها أحد».

قالت مطلقة أخرى :« من عدة سنوات شاهدت فيلماً للمخرج إنجمار برجمان وكان اسم الفيلم على ماأذكر - مشاهد من زواج - وهو يظهر مشاهد لزوجين بعد طلاقهما ثم عودة زواجهما. وقد حدثت علاقة متينة بينهما، أصبحا عاشقين، ليس بطريقة عاطفية ملتهبة من خلال الجنس بل من خلال تقاربهما والعمق فى مشاعرهما، لقد توافقا معا بعد ماتبين لكل منهما أخطاؤه السابقة».

قالت الطبيبة : «هذه المشاركة فى إعادة تقييم الزواج وقبول المشاركة من جديد بين الزوجين تشفى الجرح القديم للطلاق ، لكن هذا يحتاج إلى

استعداد الاثنين للعودة إلى علاقتهما الزوجية وهذا يحتاج إلى ثقة وتسامح من الجانبين " . قلت : " أعتقد أن عودة الزوجين المطلقين لحياتهما الزوجية تكون فى حالة وقوع الطلاق بسبب الغضب بينما كل منهما يحب الآخر " .

قالت مطلقة فى مقتبل العمر : " إننا هنا نتحدث عن الحالة النفسية والعاطفية لأننا جميعاً من النساء العاملات والمثقفات ليس لدينا مشاكل مادية . لكن إذا نظرنا إلى الغالبية من نساء وطننا المطلقات نجد أنهن يعدن إلى مطلقيهن بسبب الحاجة المادية وليس بسبب مراجعة الأخطاء السابقة ويستمر زواجهن ليس بسبب التقارب والمشاعر العميقة التى تحدث بينهن وبين أزواجهن لكن بسبب الحاجة المادية . إننا هنا نجلس ونسرد مشاعرنا ونقول لم يعد بيننا وبين أزواجنا ألفة ولا معاملة حسنة ولا قوة أمل فى الاستمرار ، ولا يوجد سوى الازدراء لذلك حدث الطلاق بينما توجد هذه الأشياء للكثيرات ويستمر زواجهن أو يعدن لأزواجهن بعد الطلاق . هل يمكن أن تجمعى هؤلاء النساء وتجعليهن يتحدثن عن مشاعرهن بينما هن محتاجات إلى لقمة عيش وإلى مكان يأويهن ؟! إننا هنا مطلقات مرفهات "

ساد الصمت بيننا لحظات ثم قالت الطبيعة : " توجد جمعية فى حى شعبى تابعة لجهة رسمية تقوم بخدمة المطلقات المحتاجات ماديا وهذه الجمعيات لابد أن تكون أكثر انتشارا وهذه مسئولية الدولية . أما

جمعيتنا فأنا أقدم ما أستطيعه من مساعدة لاعادة التوازن النفسى للمطلقة وإذا كنتن تجدن أننا نضيع الوقت هنا بلا فائدة فأخبرننى وننفض هذه الجمعية " .

تعالت أصوات المطلقات ووقفت مطلقة شابة قالت بصوت مرتفع : " إننا نقدر مجهودك يادكتورة والتى تجد أنها تضيع وقتها هنا وأننا مطلقات مرفهات لا تحضر اجتماعنا " ..

أمانى

نزل على الخبر كالصاعقة ، بالرغم من أننى كنت أضع فوق .
مانعة صواعق ، من عدم الاهتمام به والسؤال عنه ، من تبدل نظرتى إليه ، من خروجى إلى الأصدقاء والصديقات ، من ترحيبى بأية دعوة لزيارة أو رحلة فى نطاق العمل ، اعتقدت أن مانعة الصواعق ستحمينى من أى خبر عنه . منذ شهور لم أقابله بموعد أو ألتق به وحدى . التقيت به عدة مرات صدفة بدون أن أتعمدها . فى النادى الرياضى الذى يذهب إليه التقيت به مع صديقة .

فى الطريق التقيت به وسلمت عليه من بعيد . التقيت به عندما ذهبت لصرف شيك جاءنى من أخى فى الخارج على هذا البنك الذى يعمل به . وكانت تلك اللقاءات باردة مثل لقاءات زملاء العمل البعيدين . ومع ذلك نزل على خبر زواجه كالصاعقة . ربما بالرغم من ابتعادى عنه إنكارى لوجوده فى حياتى ، كنت أنتظر أن يشعر بحقيقة حبى له ويعود إلى بصورة أريدها . ربما كان ما يواسينى أنه قد تعود على حياة

العزوبية وأنه سيمضى حياته إلى أن يموت معربدا مخادعا . ربما إذا كان تزوج من الفتاة الصغيرة التى شاهدتها معه فى المسرح كنت ساعذره على اختياره فهى تصغرنى . جميلة وغنية أيضا . لكن أن يتزوج امرأة . أرملة وفى مثل عمرى الأربعينى فهذا ما أزعجنى وآلمنى . فهل استطاعت الأرملة أن تقنعه بنفسها فى شهور قليلة ولم استطع أنا أن أقنعه بنفسى لمدة ثلاث سنوات ؟ . هل تزوجها لأنها أرملة وليست مطلقة ؟! . هل لأنها ليست موصومة بأنها هى السبب فى فقد زوجها كما توصم المطلقة بأنها السبب فى الطلاق ؟! هل لأنها تملك ڤيلا بدورين ولها ابنة وحيدة متزوجة فى الخارج وتسافر لها كل سنة ؟! .

قال لى صديق يعرفة من القليلين الذين يعرفون قصتى معه : " أعرف انك ستتألمين ، لكن لا تظنى انك الخاسرة . لا تقعى فى خطأ المقارنة إنها أجمل منك أو أنثى عنك . هو لم ير عمق مشاعرك ، والمجذب لسطحية الأمور ، ألست مؤمنة .. الشر الذى حدث لك وتظنيه شرا بعد حين ستجدينه خيرا لك . لا أقول لا تحزنى . بل دعى الحزن والألم يأخذان وقتهما " .. لكنى شعرت بنقص وكراهية لنفسى . لابد إنه لم يحبنى . لابد إنه لم يكن مرتاحا معى . لابد إننى كنت أضايقه .

مرت ليال كثيرة مزعجة . أقوم مذعورة من نومى ، ربما من حلم مثل الكابوس ، أو من شىء مزعج أخفيه عن نفسى وهو إننى لن أستطيع أن أحب اخر . أو لن أجد من يحبنى . أقوم من نومى أتصبب عرقاً مثل

المحموم ، أخاف الحياة . مشاعر رديئة سيطرت على وترامت لى الفترة التى قضيتها معه . ثلاث سنوات فى لقاء وفراق وحب وغضب . كنت أختفى أو يختفى ثم نعود . واعتقدت اننا فى إحدى عودتنا سنبقى معاً دائماً . سألتنى أمى لماذا أنا حزينة فهل طاردنى مطلقى ؟!. كدت أقول لها طردنى حبيبى من حياته. اختنقت بالدموع. وقال لى أبى بحنانه الوقور وفهمه لحالتى أن أسافر لأخى الذى يعمل فى فرنسا وأمضى معه بعض الوقت فهو يطلب سفرى بالحاح..

قابلت صديقاتى المقربات بعد أن عرفن الخبر. قالت صديقه : «تخيليه فى منظر مضحك واضحكى. ضعيه فى موقف حرج واضحكى. إلعبى بخيالك معه. تخيلى زوجته الأرملة وهى تعامله كأنه زوجها الراحل واضحكى ياأمانى.. فهو لا يستحق أن تحزنى من أجله». لكن خيالى كان غير ذلك. لم أستطع أن أضحك . كنت أتخيله منتشياً مسرورا ، سعيداً بكل ماتحمله كلمة السعادة من معان مبهجة. كنت أتخيله على الشاطئ الجميل الذى يقضيان فيه شهر العسل اتخيلهما بملابس البحر ولحظات الحب التى لا تنتهى. وأحزن فى نفسى ..

قلت لصديقاتى إن الرجل عندما يريد امرأة يفعل المستحيل لينالها وإن كان هذا المستحيل ضد أفكاره. يجد المبررات لتصرفه. حتى وإن كانت المرأة ذات سمعة سيئة كما قالوا لى . إذا أراد الرجل فلا شئ يقف أمامه عقبة. هكذا اقتنعت من تجارب الحياة ومن الأمثلة التى أراها

وأسمع عنها . قلت لصديقاتى إن هذا الرجل متعدد العلاقات النسائية فهل سيطيق الحياة مع أمرأة واحدة فى الزواج ؟!.

قالت صديقة :«لابد أن الأرملة فهمته جيداً بتجاربها فى الحياة كما سمعنا عنها. ولن تعطيه الأمان فيلعب مع أخرى. ستجعله دائما فى قلق، فهذا النوع من الرجال لا يقدر عليه سوى مومس من الدرجة الأولي تفهم نوعه وتحتفظ به وربما تضجر هى منه وتتركه».. وقالت صديقه .. «حمـــار لم يقـدرك وسيقع فى شـر أعماله».. فهل إرتحت من تحليل صديقاتى ؟!..

مونولوج

سيدتى إذا هو حمار كما قالت صديقتك . فهل كل الذين أحببتهم من قبل كانوا حميرا بما فيهم الذي تزوجته ؟!. هل لك جاذبية شديدة للحمير ؟!. إذا كان حماراً فلماذا تغضبين !. هل تطلبين من حمار أن يقدر مزاياك ويفكر كما تفكرين ؟!. سيدتى .. لا داعى لسب خلق الله، وتعالى نفكر بهدوء . فليس كل الناس يفهمون ماتقولين مثل العواطف الناضجة والصحبة المتفاهمة، ليس كل الناس يفهمون ماتقدميه من البرامج الثقافية عن الحب. وتأملات «بسكال» . وسلم الحب عند «أفلاطون». والحاجة للآخر عند «سارتر». وقصص الحب التى رواها «هيرودوت» و« بلوتارخ» عن الشخصيات العظيمة فى التاريخ.

إن ماتقولينه سيدتى معقداً بالنسبة لهم . الناس الآن يفهمون أكثر فى التكنولوچيا وأرقام الحسابات والكمبيوتر. هذه الأشياء المعقدة فى نظرك !. سيدتى .. الرجال الآن زاد طمعهم وأنت ليس لديك مال مثل

الذى تملكه الأرملة التى تزوجها حبيبك. وتخشين تغيير سيارتك الصغيرة القدمية بواحدة جديدة حتى لا تضطرين لسحب كل رصيدك من البنك وربما لا يكفى أيضاً. ولا تملكين فيلا بدورين ولا حتى شقة خاصة بك. مكانتك العملية وأخلاقك الحميدة وتربيتك الراقية كلها أشياء لا يطمع فيها معظم الرجال الآن.

ولا حتى الجمال والحيوية. فلا تتعجبين من زواج المومسات من رجال مشهورين أو أصحاب أعمال مرموقين، ولا تندهشى من القبيحات فى الخلق والمنظر وهن يتأبطن أذرع الرجال ويتحكمن فيهم وفى حياتهم.

أسألى أى رجل من هؤلاء الرجال لماذا تزوج من مثل هؤلاء النساء ؟ ليس بسبب جمال عيونهن أو جمال أخلاقهن. أسألى كم تملك تلك المرأة. أو ماذا تملك لتثير طمع الرجل. ومع ذلك لا تسمحى لليأس أن يمتطى كتفيك ويجلس فوق رأسك باسترخاء.

سيدتى .. قال لك طبيبك بالانجليزية .. استرخى .. فلن تشفى من أمراضك الحقيقية والوهمية إلا بالاسترخاء والراحة النفسية.

قال لك الطبيب : إن الإنسان لا يحصل على كل مايريده وعليك أن تعددى مزاياك وماحصلت عليه واقتنعى بالواقع .. واسترخى .. واقتنعت سيدتى بكلام طبيبك وقررت أن تغمضى عينيك عما يدور حولك . ولتستمتعى بحياتك وبالواقع الذى تعيشين فيه. لكنك فى اليوم التالى استمعت إلى تعليقين تأثرت بهما وأصبح من الصعب عليك

الشعور بالراحة.

قال لك رجل كبير أن زوجته فى الصباح سألته أن يأخذ بيدها لتقوم من الفراش. عبارة بسيطة لكنها لها معنى كبير لك. فمن الذى سيأخذ بيدك سيدتى عندما تكبرين ؟!.

وسمعت تعليقاً آخر من إحدى صديقاتك بعد عودتها من أجازة قصيرة على الشاطئ . قالت إنها كانت من قبل تجرى إلي البحر وحدها وتسبح، لكنها الآن أصبحت تحتاج لأحد يكون معها . قالت صديقتك :« إننا نكبر ونريد من يكون بجانبنا ». لم تقصد صديقتك هذه أن تؤلمك، كانت فقط تريد أن تقول مشاعرها ووجدتك المقربة لها فقالتها لك..

سيدتى .. لا تجلسين مثل بطلات الميلودراما الرديئة وتندبين حظك، وأنه مكتوب عليك العذاب فى حياتك، وإنك لم تستطعى الاحتفاظ برجل تحبينه.ومن الصعب أن تجدى رجلاً يحبك ويقتنع بك وأنت فى عمرك الأربعينى .. نعم الأرض اهتزت من تحتك فتحركى وانقذى نفسك وإلا وقعت فى هوة غير محدودة .. سيدتى .. مهما فعلت المرأة للرجل وهو ليس مقتنعاً بها لن يهتم بما تفعله من أجله. لن يهتم بنبضات قلبها. هذا درس قاس تعلمته.

تألمى ياسيدى . تألمى لتخرجى الألم من نفسك وجسدك . لابد أن تتخلصى من هذا الألم. ولا تقاوميه . دعى ذكرياتك تنساب من داخلك. تسحقك . تذكرى الألم لتتخلصى منه وليس لتعيشى فيه !

سيدتى .. أنظرى خلفك بغضب لكن انظرى أمامك بأمل .. عقاقير العالم ومستحضرات التجميل لن تجلب الحيوية لجسدك ولن تذهب إرهاق وجهك بدون شعور داخلى. بدون أمل.

جمعية المطلقات

قالت الطبيبة النفسية :« اليوم سنحتفل بالسيدة (س) لأنها ستتزوج».

تعالت تهانينا ونحن ننظر إلى المطلقة التى ستتزوج للمرة الثانية بإعجاب، وأعربت مطلقة عما دار فى نفوسنا وقالت :« زواج زميلتنا يحرك فينا الأمل وإن الدنيا مازالت بخير» شعرنا ببهجة لهذا الخبر وقدمت لنا الطبيبة الحلوى مع الشاى. زغردت واحدة وقالت : «عقبالنا جميعاً». قالت مطلقة :« إنها خطوة جريئة، الدخول فى مغامرة زواج مرة أخرى». فقالت لها الطبيبة إن الزواج ليس مغامرة وإن كان للمرة الثانية».

وقالت :« من تجربتى الشخصية وملاحظاتى أأكد لكم إن الزواج الثانى أكثر توافقا " . قالت مطلقة : " ربما بالنسبة للمرأة تكون أكثر تحملا للمشاكل لأنها لا تريد أن تكون مطلقة لمرة الثانية " . قالت الطبيعة : مشاكلكن الشخصية لابد تجدن لها حلا قبل الإقبال على

الزواج الثانى ، لأن هذه المشاكل ربما تقود المطلقة إلى زوج ثان يكون ظاهريا مختلفاً تماما عن زوجها الأول لكن أخلاقه أو طباعه مشابهة للأول فتجد أنها تكرر مشاكلها فى الزواج الأول لذلك قلت لكُنَّ فى لقاء سابق أن تواجهن أنفسكن وتختبرن كل شىء قاد إلى الطلاق حتى لاتقع المطلقة فى زيجة ثانية مشابهة للأولى " . سألت مطلقة لماذا نطلب تجربة زواج ثانية بعد فشل الأولى ؟ قالت الطبيبة : " طلب الزواج الثانى هو طلب للنجاح بعد الفشل . والزواج هو الوضع الطبيعى للنساء والرجال فى المجتمع ومجتمعنا هو مجتمع الثنائيات الزوجية ، إنه لايستوعب الشخص المنفرد خصوصا المرأة . والآن الحياة الاجتماعية أصبحت مهمة للأفراد ، وهى حياة يقوم بها الزوجان معا لايستطيع الفرد تحملها وحده خصوصا المرأة . وكما تحدثنا من قبل كثيرا فالمرأة تتأثر أكثر بالطلاق من الناحية النفسية وتفضل أن تدخل تجربة زواج ثانية لتكون زوجة فى المجتمع على أن تبقى مطلقة " .

قلت : " اعتقد يادكتورة إن حاجة المطلقة لتبادل الحب والصحبة يدفعانها لطلب الزواج مرة ثانية وليس لمجرد أن تكون زوجة " . قالت الطبيبة : " هذه حقيقة إننا نحتاج إلى تبادل الحب ونحتاج أيضا إلى الحياة الاجتماعية " . قالت المطلقة التى ستتزوج : " أخاف الفشل بسبب عدم الثقة التى جنيتها من زواجى الأول " . قالت الطبيبة : " توقع الفشل ليس أساسا جيدا لبناء علاقة جديدة وهذا أكثر شىء يفسد الثقة

. إذا وضعت الثقة فى شريك حياتك سيبادلك هذا الشعور ، فالثقة شعور يشعر به الآخر وهى تتكون مع الوقت بأن تشاركى أفكارك ومشاعرك بالتدريج مع رفيق حياتك. الحب والجنس أشياء متغيرة أما الثقة فهى ثابتة. إذا حصلت عليها فأنت تحصلين على كل شئ. عزيزتى لا تظنى إن فشل زواجك الأول سلب الثقة فى الرجل. سب الفشل هو الاختيار الخطأ أو التصرفات الخاطئة»

قالت مطلقة لم تستطع أن تخفى غيرتها من التى ستتزوج : «إحمدي ربنا إن هناك رجلاً يريد أن يتزوجك ولديك طفل. هل سيأخذه أبوه ؟!» وقبل أن تجيبها سألتها مطلقة أخرى إذا كان الزوج الثانى مطلقا . ؟ ».

قالت :« الولد سيبقى معى فهو فى السادسة ووالده سيتزوج أيضاً وفضل إن يتركه معى أما الزوج الثانى فهو مطلق وله ابنه تعيش مع مطلقته التى تزوجت أيضاً». قالت المطلقة التى أفصحت عن غيرتها :« الدنيا محلولة أمامك لا توجد مشاكل وبعد ذلك تتحدثين عن عدم الثقة؟!». ضحكنا . وقالت المطلقة التى ستتزوج : إن الرجل يبدى حبا واهتماماً بطفلها لكنها لا تدرى ماذا ستكون معاملته له بعد الزواج ؟. فقالت لها المطلقة التى شعرت بالغيرة منها إنها تبحث عن المشاكل وتضيع فرصة عظيمة لها بالفرح.

قالت الطبيبة :« مشكلة الزواج الثانى فى أبناء الزيجة الأولى للرجل

أو المرأة أو للاثنين معا. ففى الزواج الثانى الأطفال يوجدون قبل أن يبدأ التآلف بين الزوجين. فالزوجان لا يجدان وقتا كافيا لعمل علاقة مريحة بينهما قبل وجود الأطفال. ومن ناحية أخرى. زوج الأم. أو زوجة الأب. أى منهما يريد أن يفرض النظام والطاعة على ابن ليس ابنه. ربما الأم أو الأب لا يعجبه تصرف الاخر حيال ابنه. وربما الطفل لا يقبل توجيهات من أب أو أم غير والديه الحقيقيين . أيضا توجد المشاكل المالية. الأب الجديد لابد أن ينفق على ابن زوجته وربما هذا يجعله متذمراً. وإن كان فى حالة السيدة (س) لن توجد المشكلة المادية لأنها تعمل واعتقد إنها ستتحمل العبء الأكبر فى مصـاريف ابنها. أما إذا انجبت من الزوج الثانى ...»

قاطعتها المطلقة التى ستتزوج وقالت انها اتفقت مع زوجها الثانى ألا ينجبا. قالت لها الطبيبة ألا يتعجلا فى قرارهما . وقالت المطلقة التى ستتزوج إنها ستفتقدنا. فصرخنا فى وجهها إننا لا نريد أن نراها هنا مرة أخرى .. وضحكنا.

مع صديقة

قالت صديقتى المطلقة :« أريد أن أتزوج رجلاً ثرياً ، يعطينى النقود بدون أن يسألنى لماذا. وتكون مناقشاتنا عند الشراء. أى شئ أحسن لنختاره وليس أى شئ أرخص. أريد أن أشعر ببذخ»، ضحكت .. كنا فى محل مجوهرات وشاهدنا سيدتين وجهيهما رائقان ناعمان وملابسهما غالية. تتحليان بمجوهرات كثيرة وتشتريان غيرها. أخرجتا من حقيبتيهما مجموعات من رزم الأوراق المالية لتدفعاها للصائغ، استفزتنى إحداهما بنظرتها لنا. استفزنى أكثر وجهها الرائق الذى ليس فيه أثار لقلق أو دموع. نامت ليلتها نوماً هادئاً مستكيناً فى فراش وثير. فى بيت فاخر تمتلكه مثل المجوهرات التى ترتديها وتشترى غيرها. مثل رزم النقود التى تخرجها من حقيبتها . جاءت نظرتى على وجهى فى مرآة فى ركن من المحل. تضايقت من وجهى المجهد. جلست بعيداً إلى أن تنتهى صديقتى من استلام الخاتم الذى تغيرت فصوصه وتدفع للصائغ عشرين جنيهاً !!. عندما خرجنا من المحل قالت صديقتى

أمنيتها قلت لها :« أمنيتك هذه كان لابد أن تقوليها منذ عشرين عاماً

قالت : «ضيعنا أنفسنا بثقل عقولنا وليس جيوبنا. لم ننظر إلى الاثرياء التافهين من الرجال وبحثنا عن المناضلين والمثقفين الفقراء الذين يتساوون مع عقولنا. كم كنا مغفلات . ولم تنبه واحدة فينا الأخرى على تغفيلها . أنت وأنا ومعظم صديقاتنا المقربات».

قلت : «كان ذلك الوقت يتمشى مع أفكارنا. كنا فى أول شبابنا في عهد الثراء الفكرى. لم نكن فى عهد الثراء المادى. وضعنا كما ضاعت مبادؤنا. بأى شئ نتمسك الآن ؟! ».

قالت صديقتى :« لم يكن أهلونا ينظرون إلى المادة ولم يكونوا أثرياء بالمعنى المفهوم للثراء الآن. ولم يجبرونا على الزواج من أثرياء . تركوا لنا الخيار». الآن الفتاة لا تتزوج ببلاش كما فعلت فتيات جيلنا، حتى عندما تحب فهى تشترط الشبكة الألماظ والمهر الغالى والفرح الكبير. كان تفكيرنا أن مثل هذه الأشياء تفاهات وأننا بثمنها نشترى أشياء نافعة لبيوتنا وعقولنا «كم كنا مغفلات».

قلت : «هل تريدين الآن ونحن فى هذا العمر الأربعينى ووراءنا كل هذه السنوات من التعب والخديعة والإجهاد النفسى الذى انعكس على وجوهنا . هل تريدنا الآن أنت وأنا نتزوج من رجال أثرياء ؟ وهل نجد الرجال حتى نشترط أن يكونوا أثرياء ؟!».

قالت صديقتى : « لا أحبك وأنت فى هذه الحالة من الاكتئاب

واليأس».

قلت : «لابد أن نتحمل بعضنا كما نتحمل سخافة ظروفنا الحالية. كما نتحمل ليالينا الوحيدة وأحلامنا مثل الكوابيس التى نحلم فيها بمضاجعة الرجال المجهولين ونقوم من نومنا مذعورات برعشة النشوة الكاذبة».

قالت : «عزيزتى لابد أن نتخذ قراراً حازماً . ألا نتحدث بعد ذلك عن جيلنا التعس ومالاقاه من معاناة فى كل شئ . ألا نتحدث بعد ذلك عن أحلامنا المشوهة وآمالنا المبتورة».

قلت : «آه ياصديقتى . كنا ننتقد مسرح العبث ونقول الحياة لها أهداف وآمال . ولم ندر أننا بعد سنوات سنعيش حياتنا فى هذا العبث حقيقة .. وليس من تأليف كاتب عبثى».

قالت :« لابد أن نتفاءل . تفاءلى . ولنلتقى المرة القادمة ونحن متفائلتان».

كان هذا الحديث أثناء قيادتى لسيارتى إلى أن وصلنا إلى بيت صديقتى . ودعتها وقدت السيارة وأنا أفكر فى التفاؤل والتشاؤم كانهما قانون حياتنا المنظم. لحظات من هذا ولحظات من ذاك. حروب . تغيرات سياسية . تغيرات اجتماعية. هكذا عاش جيلنا التعس كما قالت عنه صديقتى . لحظات التفاؤل تضئ مثل ضوء الفلاش وتختفى . ونقول ماسيجئ سيكون أحسن . ولحظات من التشاؤم مثل سواد الليل الطويل. آه من جيلنا التعس. بعضنا اتجه إلى التصوف والزهد فى كل

شئ. وبعضنا اتجه إلى خيانة مبادئه وتهتك فى كل شئ..

فى بحر هائج ولد جيلنا على هذه القطعة من الأرض. نركب موجات التفاؤل والتشاؤم. تقذفنا الموجات إلى قاع البحر العميق الهائج ثم تلقينا على شواطئ مجهولة مهجورة نائية. نستوحش المكان ونخاف الوحدة فنعود لنركب موجات البحر الهائج علها ترحمنا . تهدهدنا. تلقينا على شاطئ آمن. معلوم وغير مهجور. لنجد فيه صحبة لحياتنا . لنرتاح بعد طول تعب. لتطمئن نفوسنا بعد طول عناء. نركب موجات البحر الهائج بالأمل. باليأس . بأمل أن تقذفنا على شاطئ أمان. وبيأس أن تقذفنا على أى مكان.

وجدت نفسى أقود سيارتى إلى بيت الطبيبة النفسية. شعرت أننى فى حاجة أن أجلس معها. وجدتها فى حديقة الڤيللا. لمحتنى وجاءت مسرعة إلى . قالت بشئ من الدهشة :« أمانى .. ماذا حدث ؟!».. قلت : «هل يمكن أن أجلس معك .. أقصد .. هل لديك بعض الوقت ؟!» قالت مرحبة : «تفضلى»..

مع الطبيبة النفسية

قالت الطبيبة النفسية :« أمانى . أريد أن أسمع منك الحديث الذى رفضت أن تقوليه أمام بقية المطلقات. أريد أن اسمع منك قصة طلاقك».
ابتسمت للطبيبة التى استقبلتنى بدون موعد ولم تتذمر. قلت « لا أستطيع أن أقول أنها قصة. لتكن مأساة يونانية قديمة. أو رومانية. أو مأساة حديثة جداً حيث نقول فى النهاية إنها مسألة مضحكة. لقد تأثرت بما قاله أحد ملوك بريطانيا قديماً. عندما قال مملكتى بحصان. وكان فى حرب وفقد حصانه . وهكذا قلت يوما مملكتى بصحبة.

تزوجت بعد معرفة قليلة وحب كثير. ومن أول يوم لزواجى شعرت بوحدة. فقد كان شهر العسل رحلة عمل له. كان يتركنى ويخرج لعمله وعندما يعود لا يتحدث معى حديث الصحبة المتفاهمة. واستمرت الحياة هكذا. وبالرغم من إننى أعمل إلا أنى كنت أحتاج إلى صحبة من يعيش

معى فى البيت. باختصار شديد. الزوج المنشغل بأعماله ويهمل عواطفه وصحبته وحتى رغبته الجسدية. وهكذا قلت يوما مملكتى بصبحة . لكن فقدت مملكتى ولم أجد الصحبة»..

ابتسمت الطبيبة وقالت : «تشبيه غريب واختصار ساخر لقصة طلاقك».. قلت : «كان لابد من الاختيار . عظيم .. لكن كيف نختار الوهم ونترك الحقيقة ؟ اعتقد يادكتورة لا يمكن لإنسان أن يفعل هذا إلا إذا كان يائسا تماما من الحقيقة التى يعيش فيها».

سألتنى الطبيبة :« هل أنت نادمة الآن على طلاقك»؟.

قلت : «حقيقة لا أدرى . اختلطت على الأمور. فأنا كما قلت من قبل أننى لم أشعر إننى مطلقة. ربما لأنى لم أشعر إننى متزوجة . لكنى شعرت بوضعى بعد أن رفض الرجل الذى احببته الزواج منى لأنى مطلقة. والآن أشعر بحزن وإننى طلقت حقيقة بعد أن تزوج هذا الرجل»..

قالت الطبيبة :« لأن طلاقك الفعلى حدث لك بالتدريج . إنفصلت نفسيا . ثم انفصلت عنه جسديا ، وشعرت بعدها بالحرية وإنك يمكنك أن تبدئى حياتك من جديد. أما زواج الرجل الذى أحببته فقد كان مفاجأة لك. بل صدمة، مثل صدمة الطلاق بلا مقدمات»..

قلت :« كان أملى كبيراً معه. كان الحلم الذى ظننت إنه تحقق أخيراً معه. أو كان بمثابة التعويض الذى يجده بعض الناس فى حياتهم بعد

عذابات طويلة. لكن الحقيقة كانت غير ذلك».

قالت الطبيبة :« ربما التعويض سيأتى لك فيما بعد ».

قلت :« كنت مع صديقة مطلقة قبل أن أحضر إليك وقالت أمنية ضحكت منها إنها تريد أن تتزوج من رجل ثرى».

قالت الطبيبة :« الأمان النفسى للإنسان أهم من الأمان المادى. بالأمان النفسى يستطيع أن يجد الإنسان أمانه المادى فهو لا يستطيع أن يكون سوياً من الناحية الفسيولوجية والنفسية والعملية والعاطفية بدون هذا الأمان النفسى. تفاءلى ياأمانى بأمل الحصول على أمانك الداخلى».

قلت : «لقد حاولت من يومين أن أكون مرحة واتقبل حياتى الآن بدون شعور بالأسى على مافاتنى ومن فقدته. لكن يبدو أن الأسى فى داخلى تغلب على مشاعرى فمرضت»..

قالت الطبيبة : «مادمت حاولت التفاؤل فاستمرى. إذا كنت مرضت يوماً فستتغلبين فى الغد على أمراضك».. قلت :« يادكتورة إننى دائما أحاول . لكن الحيرة التى اقع فيها الآن بين حياتى هذه ومأأريده لحياتى تمرضنى».. قالت الطبيبة :« أمانى .. أنت قوية نفسيا فلا تسمحى للإحباط أن يشدك إلى انخفاض معنوى».

قلت : «الحقيقة : إننى لم أعد أحتمل الإحباط . وأصبح يقهرنى».

سألتنى الطبيبة :« وهل كنت تتحملينه من قبل ؟».

قلت : «نعم. كنت أتغلب عليه. ربما كنت استسلم له يوماً وأغلق على نفسى وأنام. ثم أقوم بعدها نشطة. أرتدى ملابس زاهية. اتجمل. أستجلب المرح فيأتى إلى. أما الآن. أعتقد أن استسلامى للإحباط نوع من اليأس المميت »..

نظرت فى ساعتى وقمت . قلت :« أطلت عليك يادكتورة وأشكرك إنك استقبلتينى فى وقت ليس مخصصاً للمطلقات فهل تسمحي لى أن ..» قاطعتنى الطبيبة وهى تربت على ظهرى . قالت :« وهل تأخذ الصديقة من صديقتها ثمنا لوقت طيب تقضيه معها ؟! ».

قلت : «أشكرك إنك تعتبرينى صديقة».

الحفلـة

حاولت أن أبدو مرحة وأعمل بنصيحة الطبيبة النفسية أتفاءل. لكنى لم أستطع . زملاتى وزميلاتى فى العمل لاحظوا اكتئابى. ظنوا أنى مكتئبة لأنى أخترت الوحدة بإرادتى وهذه هى النتيجة ! يعتقدون أننى أوقفت نبض قلبى عن الحب، ودفنت أحلامى عن استقرارى، وطوحت بأملى فى الفضاء . لم يعرفوا خديعتى فيمن أحببت فى السنين الأخيرة.

قال لى بعضهم نصائح ضايقتنى .. قابلت صديقاً كبيراً فى الطريق هتف مسروراً باسمى عندما رآنى . ودعانى إلى فنجان قهوة بحساسيته الشديدة قال إنه يفهم حالتى التى أمر بها. لم استطع أن أخبره عن الصدمة الأخيرة. لقد قابلنى عندما اخترت طريقاً وكنت شجاعة بما فيه الكفاية لاختار وحدتى عن حياة مشتركة ليست مشتركة. وهاهو يقابلنى بعد هذه الصدمة التى احاول ألا اعتبرها صدمة. قلت له تبريراً عن سوء حالتى إننى قد أصبت بانفلونزا فى الشهر الماضى فأثرت على

صحتى. شعرت أنه لا يصدقنى.

قلت له ضاحكة بصيغة الجمع. إن الرجال يتهربون منى. فقال إن هذا أفضل لى حتى التفت لنفسى ولعملى ولمستقبلي الذى اخترته.

قلت له فى محاولة تصديق لنفسى : إن هذا مايدور فى رأسى . كان حديثه حنوناً فاهماً واسترحت من مقابلتى له.

ربما سيمضى بعض الوقت إلى أن أفوق من صدمتى الأخيرة وأغلق على بابى ولا أتعرف على أى رجل حتى لا أقع فى نفس الخطأ واستكين للصحبة لمجرد أن يكون لى صحبة. استكين بالخوف من الغد وتعمينى هذه الإستكانة عن حقيقة الصحبة. الذى يضايقنى الآن ماوصلت إليه من تشويه لأفكارى فلا أستطيع أن أرتبها لأعمل. الإستكانة لابد أن تكون لأفكار عملى فهو الشئ الذى أستطيع المحافظه عليه.. أسوأ شئ يصيب الفرد حكاية الإشفاق على النفس. وأن ينظر إلى حظه كأنه عدو له يخرجه من مصيبة ليوقعه فى أخرى. ويعتقد الإنسان إنه لا يستطيع أن يحقق أحلامه لأن هناك من يقف دائماً فى طريقه. يجد أشياء معطلة ومحبطة نيضعها على حظه. أسوا شئ أن يقع الإنسان فى هذا المأزق مع حظه. ويصبح هو أيضاً عدواً لحظه.

طلبتنى إحدى صديقاتى وسألتنى أن أذهب معها وزوجها إلى حفلة فى النادى الرياضى الذى تشترك فيه، هذا النادى الذى يشترك فيه أيضاً الرجل الذى خدعنى وتركنى. وترددت قليلاً، وشجعتنى . قابلتهما



ومجموعة أخرى من الذين أعرفهم وأعرفهن . قررت أن أكون مقبولة بين هذه الصحبة، وكان مجهوداً شاقاً لأكون مرحة. كانت الحفلة عبارة عن مسرحية يقوم بها الهواة من فصل واحد. ثم استراحة وبعدها فيلم سينمائى.

فى الاستراحة قمت مع صديقتى لنسير فى حديقة النادى .. ضبطت عينئ وهما يبحثان عنه بين الجالسين فى الحديقة ضبطت قلبى وهو يخفق عندما خيل إلى إننى وجدته.

وبالرغم من حرارة الجو شعرت بالبرودة تسرى فى اطرافى وتضايقت من نفسى لأنى مازلت أفكر فيه. ربما لاحظت صديقتى نظراتى الباحثة فقالت : « لم نعد نراه فى النادى. يبدو أن زوجته استحوذت على كل وقته» لم أتصنع الغباء وأسالها عمن تتحدث وقلت ساهمة :« لابد إنه سعيد بالزواج على عكس ماتصورنا إنه بشخصيته لن يتحمل».

قالت صديقتى :« سمعنا همسات عن هذا الزواج وسأحكى لك كل شئ عندما أعرف»..

كان الفيلم رومانسيا أثار دموعى، ابتلعتها حتى لا أفضح نفسى، وبعد الفيلم كانت المجموعة ترغب فى المزيد من السهر. شعرت أننى وحيدة تماما وسطهم، ولم أعد استطيع افتعال شعور فوق طاقة احتمالى. أعتذرت لهم، شكرتهم وألقيت تحية على الجميع.

وأنا فى طريقى إلى باب الخروج من النادى شاهدت رجلاً وامرأة

يسيران فى مرح، ذراعاهما متشابكتان. الحياة تحتاج أن يسير فيها اثنان معاً . سخيفة الحياة بلا صحبة. أن يسير الفرد يهز ذراعيه فى الهواء كما أسير أنا. ألا يمسك بذراع آخر بجانبه. صورة من التوافق أمامى. أبطأت من خطواتى خلفهما. الاثنان يجملان الحياة لبعضهما. أين هو الذى يمسك ذراعى ويجمل الحياة لى . وأجمل الحياة له ؟!.

هل فى هذا العمر الأربعينى يصح أن أحلم أحلام فتاة العشرين ؟! بالحب والصحبة والبيت الأمن ؟ أم هذه الأحلام ليست مقتصرة على عمر محدد ؟!

آه ياأحلامى ماذا تخبئين لى ؟!

مونولوج

سيدتى .. فرحت فرحة مبهمة ، وقلت فى نفسك إن الليل يأتى بعده نهار والأيام تحمل إليك مفاجآت طيبة. لكنك سيدتى لم تلتفتى إلى أى طريق تقودك إليه وحدتك. وتركت مشاعرك تتدفق نحو هذا الرجل الذى ظهر لك. حقيقة الرجل معجب بك من زمن، منذ قابلته من عدة سنوات وأجريت معه محاورة ثقافية فى برنامجك الإذاعى وكنت وقتها فى أول شهور زواجك لا تلتفتين لنظرات إعجاب الرجال ولا تستمعين إلي كلمات إطرائهم.. حقيقة سيدتى فالرجل من القليلين الذين يستمعون إلى صوتك عبر الأثير ويهتم بما تقولين إعجاباً بشخصك أولاً. وكان من سنوات يحدثك فى اليوم التالى لإذاعة برنامجك ليعبر عن إعجابه ويناقشك.

وكنت تسعدين بالمكالمة بل كنت تنتظرينها. لا تنكرى. ربما نسيته

سيدتى وسط مشاكلك الخاصة، لكنك تساءلت يوما أين إختفى هذا الرجل ؟ وعرفت أنه سافر للعمل فى جامعة خليجية أستاذاً فى مادته. ومن وقت لآخر كنت تقرئين له مقالات ثقافية فى مجلة تصدر فى البلد الخليجى الذى يعمل به. وفى بعض الصحف العربية التى تجدينها علي مكتب زميلك المهتم بالشئون العربية فتستعيرينها منه لتقرئى ماذا كتب. وأحيانا تتساءلين لماذا اختفى ؟

فهل لم يعد يأت لزيارة بلده ؟ وإذا كان يأتى في الاجازات فلماذا لم يعد يتصل بك ؟

كنت تتساءلين سيدتى عنه عندما تبحثين عن معجبيك القدامى فى ساعات وحدتك .. وها هو جاء أخيراً.. سعى إليك وبفرحة مبهمة قابلته. دعاك إلى الحب، وجاءتك الدعوة سيدتى فى ليلة حالكة بظلام الوحدة وآلام الجرح الذى لم يلتئم . وكانت دعوته رقيقة مهذبة محبة. قال إنه يحمل أثقالاً فوق كتفيه. وقلت إنك تحملين أيضاً اثقالاً . لكن أثقالك يمكن التخلص منها بحاضر جميل وأمل فى مستقبل. أما اثقاله فمن الصعب أن يتخلص منها. وضح لك الرجل بصراحة أنه تزوج فى سن العشرين، أجبره والده على الزواج وصحبة زوجته معه إلي الخارج ليكمل دراسته العليا حتى لا يلتفت إلي الخواجات. ونفذ قرار والده وتزوج من اختارها له منذ ثلاثين عاما. انجب ولداً وبنتين . تزوجت واحدة منهما. واعجب بك سيدتى، وأصبح إعجابه حباً، من محادثاتكما التليفونية فى

مناقشة المسائل الثقافية. لكنه لم يستطع أن يدعوك للحب وقتها لارتباطك . ثم بانشغاله هو بتأمين حياته مستقبله من الناحية الثقافية والمادية.

وقد وجد الشجاعة أخيراً عندما علم إنك مطلقة ليدعوك إلى الحب. لكنك سيدتى أردت الدعوة كاملة. بالأمل فى مستقبل، بصحبة دائمة. بمشاركة. تعبت من العلاقة اليائسة والأمل الكاذب. تعبت من الوقوف وحيدة فى مهب رياح الأيام وتغير الزمن. وبصراحته المهذبة أخبرك أنه لا يستطيع أن يترك زوجته وأسرته ليعيش معك فى حياة زوجية واضحة. لايستطيع أن يترك ابنه وابنته اللذان مازالا يعتمدان عليه ويقدرانه. لا يستطيع أن يطلق زوجته فهى ليست مثل حصان البلدية الذى يستغلونه طوال حياته فى الأعمال المجهدة ثم يلقونه بعد أن يكبر أو يمرض. وبسبب مركزه العلمى والأدبى والاجتماعى وشهرته التى نالها فى السنين الماضية لا يستطيع أن يعلن صراحة عن حبه لك . لا يريد أن يؤذى مشاعر أسرته ويظهر معك فى المجتمعات، ولأنه أصبح مشهوراً فربما يلتقط مصور صحفى صورته معك وينشرها في أخبار المجتمع في مجلة قد تصل يد زوجته، أو يشاهدكما أحد الأقارب. لكل هذه الأسباب سيدتى عرض عليك الرجل هذه الصيغة من العلاقة الشرعية فى الحب وهى الزواج العرفى حتى يكون الحب كاملاً بينكما وحتى يرتاح ضميره، ويحقق رغبتك الواضحة إنك لن تكونى عشيقته .!

سيدتى .. نصحتك صديقاتك ألا تخافين المغامرة، فالرجل نبيل ويحبك والمغامرة تخرجك من رتابة حياتك ووحدتك. وكل من سألتيه عن الرجل مدح فى أخلاقه ولاحظت هذا من تصرفه ..

سيدتى .. نادراً ماتتحقق أحلامنا كما نريدها تماماً. حلمت برجل يحبك ويريديك ويخرجك من الشعور الردئ الذي انتابك فى السنين الأخيرة إنك غير مرغوبة. وهاهو الرجل جاء لك. لكن الحلم لم يكتمل بالصورة التى أردتيها. قاومت خفقات قلبك وإعجابك بالرجل. وسألت صديقتك المقربة وزوجها أن يساعداك فى هذه المشكلة الجديدة. وقرر الزوجان دعوتكما معا. وقبل ذهابك إلى الدعوة قررت قبول عرضه.

سيدتى .. كنت ترفضين الرجال المطلقين والأرامل الذين تقدموا لك من خلال صديقاتك وأقاربك. ترفضين رجلا خلفه خيال امرأة أو شبح امرأة. وهأنت تقبلين رجلا بجانبه امرأة حقيقية بشحمها ولحمها ، ليست خيالاً ولا شبحاً.

الـزواج العرفى

ذهبت مبكرة قبل الموعد إلى بيت صديقتى وأخبرتها وزوجها عن قرارى بقبول الزواج العرفى من الرجل الذي يحبنى ويريدنى، فهو على الأقل لم يخدعنى بوعود كاذبة . وأنا أيضا معجبة به من زمن واحبه الآن. قال زوج صديقتى :« لننتظر إلي أن يحضر الرجل، ربما طلب هذا الزواج فى لحظة عاطفية ووقت الجد يهرب». فى الموعد تماماً حضر، فزال قلقى وابتسمت لزوج صديقتى .. بعد أن قدمت صديقتى الشاى والحلوى سألنى الرجل هل فكرت فى طلبه ؟. قلت له إننى موافقة . إبتسمت كل ملامح وجهه وقال إنه لا يعرف كيف يعبر عن سعادته. قال له زوج صديقتى إنه يعتبر نفسه زوج شقيقتى لذلك فليسمح له بالتدخل في بعض التفاصيل. ورحب الرجل. سأله زوج صديقتى كيف سنعيش معا وأين ؟!.

قال إنه فى الوقت الحالى سيؤجر شقة مفروشة نعيش فيها إلى أن يأتى موعد سفره إلي البلد الذى يعمل به وإلي أسرته هناك. إذا أعجبتنى الشقة فسيستمر فى تأجيرها على أن أتركها في غيابه وأذهب إلي بيت والدى. فهو لا يريدنى أن أكون وحيدة فى شقة مفروشة .. قال زوج صديقتى إن الشقق المفروشة لا يؤجرونها لمصريين حتى إن كانوا يعملون بالخارج. قال الرجل إن له صديقاً مقربا لديه شقة يؤجرها مفروشة فى موقع ممتاز على شاطئ النيل فى الجيزة. ولن يبخل عليه في تأجيرها له وهو لن يخدعه ويستولى عليها. وعلى أيه حال فهذا حل مؤقت..

قال زوج صديقتى :« الأفضل أن تشترى شقة باسم أمانى وتؤثثها لها حتي تشعر باطمئنان فى هذا الزواج وأن ترسل لها مبلغاً من المال كل شهر، لنعقد الزواج عند محام حتى نضمن لها حقوقها الشرعية صدمت بكلام زوج صديقتى وخجلت خصوصا عندما صمت الرجل لابد إنه شعر أننى طامعة فى ثرائه الذى يعيش فيه الآن وأننى موافقة على هذا الكلام ، فقلت مدافعة عن نفسى إننى لا أريد شقة باسمى ولا إعانة شهرية.

وقال الرجل : «إننى لا أبخل على أمانى بأى شئ فهى تستحق أكثر مما أعرضه، لكنى شرحت لها ظروفى الاجتماعية وهى قد وافقت على سرية الزواج، وإذا عقدنا القران عند محام فهذا ينفى السرية والأفضل إذن أن نعقده عند مأذون وهذا لا أستطيعه. لا أريد أن أصدم أسرتي

.. و.. زوجتى».

قال زوج صديقتى :« علمنا أن أسرة زوجتك ساعدتك ماديا في أولى سنى زواجك».

قال الرجل « لقد عوضت زوجتى كل ماأنفقته فى السنوات الأولى واشتريت بيتا لها وللبنتين والولد وليس معنى هذا أن أقول لها إننى دفعت الدين الذى كبلنى سنين ومع السلامة الآن، فهى شاركتنى حياتى وأخذت على عاتقها مسئولية البيت وتربية الأبناء ولم تجعلنى أحمل أى هموم كبيرة أو صغيرة ولذلك تفرغت تماما لعملى وقراءاتى وتحقيق أملى فى الكتابة . إننى أقدر الدور الذي قامت به زوجتى ولا أنكر أننى أحبها لكن ليس كما أحب أماني، إننى لأول مرة فى حياتى أشعر بهذه العاطفة للحب بين الرجل والمرأة.. أنتم تفهمون كلامى.. أليس كذلك ؟!»..

ويبدو أن ملامح وجوهنا كانت تظهر الدهشة أو الغباء وعدم الفهم حتى يسألنا هذا السؤال بعد حديثه الطويل عن زوجته.. صمتنا لحظة. ثم قال زوج صديقتى «لنفرض أن أمانى أرادت أن تنجب .. ماذا سيكون وضع الطفل ؟!».. قال الرجل :« فى هذه الحالة سيختلف الوضع تماماً».. لم أستطع منع ابتسامتى الساخرة . رجل فى العمر الخمسينى وامرأة فى العمر الاربعنى يريدان الإنجاب ؟!.. قلت معبرة عن أفكارى :« إننا لن ننجب».

قال زوج صديقتى :« ليكن الزواج بدون محام وبدون شقة خاصة

وبدون إنجاب. ولكن لابد من إعلان هذا الزواج على المحيطين بكما وعلى كل من يدخل الشقة التى ستعيشان فيها وعلى الجيران. لابد من الإعلان حتى يكون الزواج العرفى سليماً شرعياً»..

ابتسم الرجل وقال لزوج صديقتى :« ليكن كل شئ كما تريدون .. من الشاهد الثانى لنكتب ورق الزواج » قلت : «أبى» .. نظروا إلي بدهشة كانت واضحة أكثر على وجه الرجل الذي يحبنى . فقلت بهدوء موجهة الكلام له : « هل تريدنى أن أتزوج بدون علم والدى» ؟.. لم يستطع أن يقول شيئا واتفقنا على أن يحضروا جميعاً فى اليوم التالى إلى بيت أبى.

وقلت فى نفسي إذا لم يحضر لن أغضب ولن أحزن فهذه المرة الرجل هو الذى يحبنى أكثر، لأول مرة فى حياتى كفة ميزانى فى ميزان الحب هى التى ترتفع.. وكانت مهمة شاقة نفسيا فى إعلانى للخبر على والدى بكت أمى. أما أبى فقد وافق لأدخل التجربة ولأقرر أنا الاستمرار أو التوقف. وكنت فرحة فرحة مبهمة لهذه المغامرة التى سأخوضها..

أحبك .. وأتركك

غريبة أن يختزن إنسان لأخر عواطف نبيلة وحباً عميقاً لا يفصح عنه. وغريب أن يختزن هذا الآخر بعض المشاعر العميقة ولا يعيها. وتمر سنوات طويلة، ويجد كل منهما نفسه أمام الآخر فى ظروف تسمح بهذا الاعتراف وهذا الوعى، فيكاشفان بعضهما بتلك العواطف القديمة. ويجلس كل منهما أمام الآخر أو فى حضن الآخر يتحدثان عن هذا الحب. أو يجد كل منهما إنه قضي سنين طويلة فى زيف الحياة فيشتاقان إلى لحظة صدق .. هذه اللحظات الصادقة أصبحت نادرة في الحياة . جميل أن يجد الأنسان نفسه متعايشاً مع لحظة صدق لتنطبق السماء على الأرض . ليحدث الطوفان ليحدث أى شئ. المهم التواجد فى مثل هذه اللحظات النادرة. قال :« لابد إننى أحلم. أنت معى . زوجتى . حبيبتى هل تدرين ياأمانى أنت مثل الماء المقطر. مشكلتك مع البشر إنك وسطهم مثل الماء المقطر لذلك لا تستطيعن التعامل معهم لابد أن يفهم أحد هذا ليقدرك وأنا أفهم».

قال : «كل شئ فيك دقيق ورشيق. هل تدرين أن الأشياء الدقيقة التى يكتشفها الفرد بالتدريج وقعها أجمل وأعمق من هذه الأشياء الصارخة التى تصدم عينيه وتلفت نظره من أول وهلة. خذى مثلا فى الفن. المنمنمات أو هذا التصوير بالحفر أو الرسم الدقيق المنمنم لا يلفت النظر من أول وهلة لكن الإنسان يكتشف جماله بعد فترة. كلما نظر للصورة المرسومة أو التمثال المحفور كلما وجد فيه جمالا. أنت يا أمانى من هذا النوع الذى يكتشفه الفرد بعد فترة. كلما تعمق فى النظر إليه وإلى اعماقه وجد جمالاً.. قلت : «أنا أحلم».. قال : «أنا الذى أحلم. لا أصدق إنك معى». الأمان لا يجده الإنسان بقوة نفسية تماماً. لكن يجده فى معان كبيرة وصغيرة. يجده مع آخر قريب إلى نفسه . يجده فى حضن المعانى والعواطف. غريبة عواطف الإنسان كأنى استشعر الحب لأول مرة.

قال :« أتمنى أن أكون رساما عظيماً لأرسمك صورة عارية بالحجم الطبيعى، أحملها معى في كل مكان أذهب إليه. أراها أول شئ في الصباح، وآخر شئ قبل أن أنام. تؤنسنى فى ترحالى».

قلت : «وتفضحك الصورة مثلما حدث للفنان جويا عندما رسم عشيقته الأميرة عارية بالحجم الطبيعي ، وكانت الحرب عليه من البلاط الملكى عندما اكتشفوا الصورة».. قال : «تعجبنى ثقافتك المتنوعة»..

قلت :«شاهدت فيلما قديما عن حياة جويا».. قال : «وأنا شاهدت

فيلما قديما عنوانه . أحبك وأتركك».

فهمت ماذا يقصد وشعرت بغصة فى قلبى .. ربت على ظهرى وقال إن عليه أن يسافر فى الغد ليلحق بأسرته فى جزيرة قبرص ثم يتركهم يسافرون إلى أسبانيا ويعود بعد أسبوع لينهى بعض مشاغله فى القاهرة ويلتقى بى ..

سألته هل ستحضر أسرته إلى بلدنا ؟ قال إنهم سيحضرون فى اجازة صيف العام القادم ووقتها التقى به فى أوروبا حتى لا يشك أحد فى تغيبه عن بيته القاهرى . سألنى أن أذهب معه لمشاهدة بيته ورفضت . سافر بعد أسبوعين من حياتنا معا فى الشقة المفروشة. لا نخرج إلي مكان عام أو فى زيارة. ولا يأتى أحد لزيارتنا . يملأ الثلاجة بالأطعمة والفاكهة ويطلب الطعام الساخن بالتليفون من مطعم قريب. أنزل وحدى أسير لأحرك عضلاتى. وينزل وحده ليقضى مصالحه. وفى المساء نجلس فى الشرفة المحصنة بالجدران وقماش الشماسى المطلة على النيل.

لقد قررت أن أفصل نفسى تماما عن الجانب الآخر من حياته، فلم أسأله متى اتصل باسرته واتفق معهم علي السفر، فمن حقهم أن يقضى معهم بعض اجازته.. عدت إلى عملى بعد هذه الاجازة ولم يلاحظ أحد ابتهاجى أو دبلة الزواج ذات الفصوص الماسية فبطبيعة هذا الزواج السرى لم أضع فى إصبعى دبلة الزواج التقليدية. واشترى لى هذه الدبلة الغالية التى ظنت إحدى زميلاتى أنى اشتريتها فسألتنى لماذا لم أغير سيارتى

القديمة .؟!

زادت فترات مكوثى فى بيت أبى وشعرت إنه حذر أمى من مناقشتى فى حياتى بعد أن قالت لى أول يوم أعود إليهما بعد سفر حبيبى. زوجى إنها لأول مرة فى حياتها تضطر للكذب عندما كان يسأل عنى أحد فتقول إننى مسافرة. وعندما عاد بعد أسبوع كما وعدنى دعته أمى لتناول طعام الغداء فى بيتها واعتذر. وكان هذا الاعتذار آخر علاقة بينه وبين والدى، لم يمكث كثيراً. ثلاثة أيام ثم قال عبارته المأثورة. أحبك وأتركك. وابتلعنى نوع جديد من الوحدة إننى أحبه. أحب أحاديثه وحنانه . لكن كيف أستمر فى هذه الحياة الغريبة عن شخصيتى وطبائعى. وخرجت أبحث عن صديقاتى ومعارفى ..

الطريق الخطأ

استقبلتنى الطبيبة النفسية بترحاب وسألتنى : هل كنت مسافرة فلم أحضر ثلاثة اجتماعات . هززت رأسى : نعم كنت مسافرة . كنا تسع مطلقات بعد زواج زميلتنا، وجدتهن بعد غيابى خمسة. سألت عن الغائبات، قلن اثنتين تزوجا وواحدة مسافرة . وقالت إحداهن إنها ظنت أننى تزوجت أيضاً. ابتسمت لأخفى شعوراً يائساً اعترانى، التفتت الطبيبة إلى مطلقة فى العمر الثلاثينى وسألتها أن تكمل حديثها عن تجربتها للخروج من العزلة . فى نهاية حديثها الذى لم أتابعه قالت المطلقة إنها تعلمت الاعتماد على نفسها لكنها تخشى أن يهرب منها الرجال عندما يلاحظون أنها أصبحت قوية. قالت الطبيبة ألا تخشى المرأة أن تظهر فى صورة المعتمدة على نفسها وإذا هرب منها رجل فهذا يعنى أنه لا يصلح لها.

«لتتعودى الاعتماد على نفسك، والرجل عليه أن يتعلم أنه ليس تهديداً لرجولته أو انتقاداً لها إذا قابل واحب امرأة معتمدة على نفسها. وكلما اعتقدت المرأة وتصرفت باعتمادها على نفسها كلما زاد فهم الرجل لها ».. قالت مطلقة فى مثل عمرى الأربعنى : « من الطبيعى لشخص يشعر أنه مجروح ومحروم أن يبحث عن الخلاص مع شريك جديد . لكن من الصعب العثور عليه. وإذا وجدته لابد أن أبذل عناية كبيرة لأستعيد الثقة فى نفسى وأشعر بالأمان معه»..

قالت الطبيبة :

- «يوجد شعور داخلى فى المطلقة وهو مقاومة الجديد، وفى نفس الوقت تتمنى . فجزء منها يجعلها تشعر بالضجر أو الخوف من رجل جديد وجزء آخر يحن لشخص يجعلها تشعر بالحب والأمان والحل ببساطة ألا تتوقعى الكثير إذا ظهر لك رجل فى الأفق يطلب منك الزواج ولا تتوقعى الكثير عند التعارف بينكما. فالحياة بدون توقعات تعطى مفاجآت سارة وأيضاً غير سارة».. قالت إحدى الطلقات « المفاجأت غير السارة أكثر يادكتورة». وقالت أخرى «أحيانا يكون الاعتماد على النفس بالنسبة للمطلقة خوف من أن تجرح . خوف على كرامتها ».. قالت الطبيبة : « المهم أن تخرج من وحدتها ويأسها.. »

كنت أستمع إلى الأحاديث ولا أشارك فيها ، وسألت نفسى ماالذى جاء بى إلى اجتماع المطلقات الست متزوجة الآن ؟!. ابتسمت فى نفسى

ساخرة. وهل إذا كنت أشعر بزواجى كنت أحضر ؟! وهل كنت أخفيه عليهن. إننى مجبرة على إخفائه. ربما لاحظت الطبيبة صمتى وابتسامتى الساخرة السرية. وسألتنى أن أنتظر معها قليلاً بعد انتهاء الاجتماع بحجة أنها تريد أن تسألنى عن شئ فى الإذاعة . وقالت لنا إنها ستسافر إلى الخارج لمدة شهر وترجو أن تجدنا متزوجات عند عودتها.

عندما جلست مع الطبيبة وحدنا قالت مبتسمة : «الحكمة تزيد الهموم فأى حكمة هذه التى تزيد همومك ياأمانى بعد اختفائك ؟»..

حكيت لها عن زواجى العرفى ، والشعور النفسى الذى دفعنى إليه وابتهاجي فى الأيام الأولى. ثم عودتى إلى الوحدة والمشاعر المحبطة . وقلت : «جميل أن يجد الإنسان أنه محبوب . أنه مرغوب لكن عندما لا يكون هناك أمل فى هذه المحبة والرغبة يصبح الشعور بالجمال تعاسة. هل أضع محبته ورغبته فى وساماً على صدرى ؟! حتى هذا الوسام لا أستطيع أن أظهره للناس. أو أقول من هو صاحبه». قالت الطبيبة : « أعتقد أنك كنت تدركين هذه المشاكل النفسية وأنت مقبلة على هذا الزواج »..

قلت : «اعتقدت أننى استطيع أن أفصل الحاضر عن المستقبل أفصل حياته الخاصة عن حياته معى، وأعيش لحظات سعيدة معه، كنت أحتاج لها. لكن مع ابتعاده بدأت الأمور تتضح لى . أنا أحبه لكنى أجد العمر

يفلت من يدى ولن أجد الصحبة الواضحة المستقرة مع رجل أصنع معه بيتاً حقيقياً ».. قالت الطبيبة : « فى مثل هذه الزيجات تطلب المرأة أماناً مادياً. تستفيد مادياً. لكنك ياأمانى تبحثين عن الأمان العاطفى والنفسى، وربما شوقك إلى هذا دفعك إلى الطريق الخطأ . فليس الزواج العرفى هو الذى يعطيك هذا الأمان، وكما عرفتك فهذه الحياة لا تلائم طبيعتك وشخصيتك».. صمت قليلاً وسألتها ماذا أفعل ؟. سألتنى عن أوراق هذا الزواج العرفى. قلت لها عن طلب زوج صديقتى فى كتابة الأوراق أمام محام وشهادته ورفض الرجل وإننا كتبنا الورقتين فى بيت أبى وهما معى فنصحتنى أن أمزقهما وأقطع صلتى تماماً بهذا الرجل وأخرج للحياة والمجتمع. وبالتأكيد سأقابل من يحبنى فى النور ويعلن عن صلته بى للعالم. وأكدت لى أننى لست من اللاتى يستفدن مادياً من مثل هذه الزيجة ولن أحتمل استمرارها. وأخيراً قالت :

- «ياأمانى أنت لا تحبين هذا الرجل. أحببت حبه لك. تنبهى لهذا قبل أن تضيعى مزيداً من عمرك فى حياة محبطة».

أعيش الحب فى الحرمان

هذه الغصة لم أشعر بها من زمن. لم تكن بهذه الحدة من قبل. أو ربما كانت هكذا ونسيت. أعرف أسباب هذه الآلام الجسدية من الآلام النفسية. كيف أزيل هذه الغصة. وهل ستلازمنى دائماً ؟ أشترى أشياء صغيرة تبهجنى. أجلس مع زملائى وزميلاتى فى العمل. أنهمك فى مشاكلهم لأهرب من مشكلتى . وعندما يأتى الليل تتجسم وحدتى ويزداد عمق الغصة. جاءنى صوته ذات مساء قريب، من البلد البعيد الذى يعيش فه. قال إنه افتقدنى ولم أفرح. سيبقى يفتقدنى وأعيش افتقده. أردت أن أبكى وهو يتحدث. بعد المكالمة زاد عمق الغصة. أقوم فى الصباح منهكة. أحلام الليل مفزعة أو مضحكة وأستقبل الصباح باكية. أى حياة هذه التى أعيشها في الافتقاد ؟! قابلت صديقاتى المقربات.

قالت واحدة :« حسبت أن هذه العلاقة ستداوى كبرياءك المجروحة وتفرحك».. قلت :« الكبرياء المجروحة لا تلتئم فى جو مخنوق بالتستر

والخوف والحرمان. الجرح لابد أن يتعرض للهواء حتى يلتئم . وجرحى يزداد عمقاً. إننى اختنق من النوافذ المغلقة. وهذا الزواج أو هذه العلاقة على قدر مابهرتنى. آلمتنى . كأنها خربت شيئاً فى داخلى ».. قالت صديقة ثانية :« انسى هذه العلاقة تماماً كأنها لم تكن».

قلت :« هذا ماأفكر فيه هذه الأيام. أنا لست فى حاجة إلى علاقة أخرى يائسة . لكنى أحبه. أو هكذا قدر لى أن أعيش الحب فى الحرمان».. قالت صديقة :« إنه لا يستحق منك هذا القلق فهو بعيد يعيش حياته السوية الصحية مع أسرته وسط المجتمع وفى العمل. وأنت هنا وحدك تتألمين لوحدتك. وحتى إذا كان يعيش هنا فى بلدنا فلقاؤكما بدون أصدقاء. بدون ناس. بدون تغيير. إنك تشعرين بالآخر أكثر وهو وسط الناس. وهو أيضا يراك فى صورة مختلفة وسط الناس».. قالت صديقة :« أخطأت ياأمانى بدخولك هذه العلاقة فأصلحى من خطئك»..

قلت : «سمعت من بعضكن نصيحة من قبل إنه رجل نبيل وألا أخاف المغامرة ».. قالت صديقة :« نعم قلنا النصيحة لأنه فعلا رجل نبيل ويحبك لكنك لم تتحملين مثل هذه المغامرة وعلى أى حال كان قرارك هو المهم ».. قلت : «لم أعد أعرف ماهو القرار الصحيح وماهو القرار الخطأ . تميعت كل الألوان لم يعد الأخضر أخضر. ولا الأحمر أحمر. وحتي الأبيض والأسود بهتت ألوانهما ».. قالت صديقتى التى شهد زوجها على ورقة زواجى :« إيه ياأمانى سنعود للتشاؤم. أخرجى

من هذه العلاقة الآن قبل أن تتدهور حالتك النفسية. مزقى الأوراق التى معك وأخبريه بقرارك هذا فى التليفون »..

قالت : «صديقه :« إننا لا نستطيع أن نتجاهل المجتمع الذى نعيش فيه. إذا تجاهلناه نعيش في عزلة. هو رجل فى مجتمع شرقى لا أحد يلومه على علاقاته. أما أنت. المرأة الحساسة مثل هذه العلاقة تؤلمك».

عندما عدت إلي منزلى قالت لى أمى إن رجلاً سأل عنى وترك رقم تليفونه لاحدثه للضرورة. أخذت آلة التليفون إلي حجرتى لأحدث الرجل صاحب الشقة المفروشة. سألنى إذا كنا فى حاجة إلى الشقة هذا الشهر لأنه يريد أن يؤجرها لأجنبى يعرفه من زمن . لا أدرى لماذا صعدت الدماء إلى رأسى بشعور من الغضب والخجل والمهانة. تمالكت نفسى وقلت له أن يؤجر شقته كما يريد فلست فى حاجة لها. سألنى الرجل هل غضبت وإنه لا يحب أن يغضب صديق عمره قلت له إننى لم أغضب وطلبت منه ألا يحدثنى بعد ذلك ... نعم لا أستطيع الإستمرار فى هذا الزواج السرى تخيلت إننى سأخرج من وحدتى بحبه. لابد أن أنهى هذه العلاقة في أولها قبل أن استسلم لمرور الأيام واستمرار هذا الوضع الذى لن يتغير ...

قالت لى أمى إنها وأبى سيذهبان عند الجيران أصدقائهما. وجلست أمام التليفزيون لأشاهد أى شئ أشغل به أفكارى بعيداً عن ضجة الأحاديث التى صدعت رأسى. مع صديقاتى. ومع نفسى.. وكان فيلما

قديما، ربما صورة الرجل الذى أحببته وخدعنى امتزجت بصورة الممثل الذى أشاهده فى هذه القصة القديمة. كان الفن فنا حقيقياً. والحب حبا حقيقياً . كانت هذه الأشياء ذات قيمة فى الحياة. جاءت الدموع إلى عينى ولم تصمت . لماذا اتذكره الآن ؟. أين هو. وماهى أخباره مع الزاوج ؟!.. وأعود لأتابع أحداث الفيلم .. كانت الصدفة فى الزمن القديم حقيقية. ربما كان العالم صغيراً، فالأحباب لم يضيعوا فى زحام الحياة. الآن الأحباب يضيعون فى نفس البلد وفى نفس المكان. أين هو الآن ؟!..

الدموع لا تصمت. هل أردت بهذا الزواج أن أنساه ؟. لكن. هل بمثل هذا النوع من الزواج أستطيع أن أنساه ؟!. احتضنتنى الأشواق . وأبكانى الفراغ. واعتصرتنى الوحدة. أنا أعرف سبب آلامى واكتئابى، والمعرفة هى أول الطريق للخلاص من المشاعر المحبطة . لكن من أين أبدأ ؟!...

وخرجت إلى الهواء الطلق

لا أدرى إذا كان صديقه صاحب الشقة المفروشة التى عشنا فيها أياماً طلبة فى البلد الذى يعمل به وأخبره عن محادثتى معه !.

لا أدرى إذا كان شعر مثلى أن هذه العلاقة تحمل الافتقاد أكثر من الحب، وإننا نسير فى طريق مسدود !.

لا أدرى إذا كان خاف أن يكتشف أحد هذا الزواج ويخبر زوجته أو تكون قد علمت به فعلاً !..

لا أدرى سوى أنى خلعت الدبلة الماسية ووضعتها بجانب ورقتى الزواج حتى أرجعها له عندما أراه وأمزق الورقتين معه مر أكثر من شهر لم يطلبنى من البلد الذي يعمل به، ولم أعرف عنه شيئاً إلى أن حدثتنى صديقتى التى شهد زوجها على ورقتى الزواج وقالت لى إنها شاهدت الزوج «العرفى» فى محل زهور تعجبت وقلت لها لننتظر لنرى ماذا

سيكون .

في المساء جاءنى صوته ويبدو أنه شاهد صديقتى وهى تنظر إليه خلال زجاج محل الزهور فحدثنى.

إعتذر عن عدم محادثتى فور وصوله لأنه جاء مع زوجته لمدة يومين لحضور حفل زفاف ابنه أختها، وسيسافران مساء الغد.

قلت له لا داعى للاعتذار وأعربت له عن رغبتى فى مقابلته صمت قليلاً ثم حدد اللقاء فى صباح اليوم التالى مبكراً. أخذت الورقتين والدبلة الماسية وذهبت إليه فى مكان لم أدخله من قبل في ركن من فندق كبير كأنه معزول عنه.

رحب بى بتحفظ كأن عينى زوجته ترصدان حركاته من خلال المصباح الكهربائى المعلق على الجدار الخشبى خلف رأسه. كدت أضحك من اضطرابه ونظراته التى تتعلق بباب هذا المكان السرى طلب عصير ليمون وماء. أخرجت الورقتين والدبلة الماسية من حقيبتى ووضعتهم أمامه على المنضدة. نظر إليهم متعجباً وسألنى ماذا أعنى ؟!

قلت له : لنمزق الورقتين ولتأخذ دبلتك الماسية. فأنا لا أحتمل مثل هذا الزواج وأنت أيضاً، بدليل الذى حدث خلال هذين اليومين واضطرابك الآن لوجود زوجتك فى القاهرة وليس فى هذا الفندق».

حاول أن يبرر تصرفه واتهمنى بعدم الصمود أمام هذه المشكلة التافهة التى تواجهنا الآن.

قلت .. فما بالك من مشكلة ليست تافهة !!

قال إنه سيحضر الشهر القادم ليمضي معى أسبوعين وتكون الشقة المفروشة خلت من ساكنها وأنبنى لأنى طلبت من صديقه أن يؤجرها . قال إنه سيهدينى سيارة جديدة بدلاً من سيارتي القديمة زادت ضحكاتى الداخلية فى نفسى ومنها، وأصررت على إنهاء العلاقة بهدوء. مزقت الورقتين إلى قطع صغيرة جداً ووضعتها في منفضة السجائر سكبت عليها ماء من الكوب أمامى. رفض أن يأخذ الدبلة الماسية. قال لتبقى تذكاراً ، وساد الصمت بيننا لحظات .

قال :« يسعدنى وجودك فى حياتى على أية صورة تختارينها . أن تقابلينى من وقت لآخر وتجلسى أمامى فقط. أن أراك من بعيد. لا أريد منك شيئاً. كنت أتمنى أن تكونى لى كلية.. لكنى فكرت وأنا بعيد عنك ألا أكون أنانياً لذلك لم أتصل بك. تركت لك حرية لاختيار»..

قلت له إنه إنسان نبيل، وجميل أن نفترق وكل منا يحمل للآخر مشاعر جميلة.

سلمت عليه وخرجت من المكان المغلق، المغلفة جدرانه بالخشب وزجاج نوافذه مطلى بألوان داكنة حتى أنهم يضيئونه فى الصباح بالمصابيح الكهربائية. خرجت إلى الهواء الطلق.

تعجبت أنه اختار هذا المكان للقائنا. كأن شيئا فى داخله اختاره دون أن يدرى ليعبر عن حياتنا معا في الظلام بعيداً عن عيون الناس.

بالرغم من حرارة الجو فى هذا الصباح شعرت بانتعاش فى الهواء الطلق، وقدت سيارتى إلي حيث موعدي مع صديقتى المقربة فى النادى الرياضى الذي تشترك فيه.

تركت السيارة خارج النادى وسرت استنشق الهواء المنعش بشعور من الحرية.

غريبة .. إنه نفس الشعور الذى شعرت به يوم طلقت من سنين طلاقاً رسمياً ومعروفاً.

اليوم أنا مطلقة للمرة الثانية طلاق غير رسمى وغير معروف. نظرت إلى أعالي الشجر، إلى السماء، إلى الطيور، هل لهذه الدرجة أحب حريتى ؟!

عندما خفضت رأسى وجدت أمامى الرجل الذى أحببته وخدعنى . شعرت بغيظ من يده التى امتدت لتسلم علىَّ. لم تمتد يدي له بالسلام. بدون شعور وجدتها تسقط بجانبي فى استياء، وخرجت التحية من بين شفتى باردة. لاحظ استيائى فلم يزد عن السلام قلت لصديقتى إننى قابلت هذا الرجل الذى خدعنى هنا قالت : « المخادع يُخدع ولو بعد حين»..

نظرت إليها متسائلة فقالت :« طردته زوجته»..

رحلة للنسيان

ظلت كلمات صديقتى تزن فى أذنى «المخادع يخدع ولو بعد حين». لقد قلت له يوماً إن الذى يحبك بصدق ويعطيك بصدق وتخدعه ينقلب هذا الحب إلى لعنة عليك. يومها ضحك. ومرت الأيام والشهور وأنا أراقبه من بعيد، أعرف أخباره من بعيد. وأدارى جرحي فى صمت، وتحققت كلماتى . خدعته المرأة التى تزوجها طردته من حياتها. غريبة ! إننى لا أشعر بالشماتة فيه، ولا بالأسف لما أصابه. وكأنه كان بطلاً فى قصة قرأتها لكاتب لا أعرفه والقصة فى زمن ومكان بعيدين عنى. كأنى لم أكن بطلة ماساوية فى هذه القصة ولم أعشها ! وأغلقت الكتاب بعد أن قرأتها شعرت براحة عجيبة خففت عنى شعور الفشل بطلاقى الثانى غير الرسمى !.

فرح والداى بنهاية هذا الزواج العرفى، وقال أبى إن أخى تحدث من فرنسا في الليلة السابقة وأخبره أبى إننى فى حاجة إلى اجازة اقضيها

عنده. رحب أخي وطلب إسراعي بالذهاب إليه، فهم أبي ترددي فقال إنه سيساهم في ثمن التذكرة. طلبت اجازة من عملي وأعددت كل مستلزمات السفر وكنت فرحة لهذا التغيير الذي سأقوم به لأغسل نفسي تماماً من كل الهموم التي لحقت بها لأعود معافية بإذن الله وأستطيع أن أعيش حياتي. طلبت أخي لأخبره عن موعد الطائرة في يوم احد حتى يكون في اجازة. فرح بزيارتي له أخيراً وأخبرني أن أحضر ملابس ثقيلة لأني لن احتمل جو الخريف الأوروبي.

استقبلني أخي بالأحضان. وأستقبلتني باريس بالأمطار. جلست بجواره في سيارته الصغيرة نتحدث بجدية أحيانا ونمرح أحياناً لنتعرف على بعضنا بعد خمس سنوات من فراقنا زارنا خلالها مرتين. مشوار طويل إلى أن وصلنا إلى منزله. عمارة قديمة ومجددة من أربعة طوابق يسكن في شقة في الدور الثالث وليس بالعمارة مصعد والسلالم مغطاة بسجاد / حمل أخي حقيبتي الكبيرة وحملت الصغيرة. صعدت خلفه. كنا قبل وقت الظهيرة وكانت المرأة حارسة المنزل تنظف سجادة السلم بمكنسة كهربائية. رحبت بي في بلدها وقالت إنها أحبت المصريين من خلال أخي، هكذا ترجم لي أخي كلماتها التي لم أستطع التقاط معظمها. قادني إلي حجرة صغيرة قال إنها حجرة للضيوف . فالشقة تتبع مكان عمله وأحياناً يطلبون منه استضافة أحد وهذا يحدث قليلاً . سألني أن أعلق ملابسي وأستعد للخروج لنتناول طعام الغذاء في الخارج

كما يفعل في يومى الاجازة، وقبل أن أطوف ببقية الشقة وأرى ملابس نسائية وأدوات زينة أخبرني أن لديه صديقة فرنسية تأتي إليه أحياناً وتمضي معه عدة أيام وسنقابلها في المطعم لاتعرف عليها ، وهى تجيد الانجليزية فاستطيع التحدث معها وستكون مرافقتى فى أوقات فراغها من عملها لتفرجنى على باريس لأنه لن يستطيع أن يكون فى صحبتى طوال الوقت لانشغاله بعمله. شعرت بشئ من الإحباط .. فى سيارته ، والجو رمادي والمطر لا يصمت ولا ينهمر مرة واحدة وينتهى وشعور الإحباط يزداد فى نفسي التفت إلى أخى وسألنى بمرح ماحكاية زواجى العرفي الذى افزع والدينا ؟!.

حاولت أن أكـون مرحة مثله وحكيت له باختصار الحكاية. قال بجدية :« المجتمع هنا يختلف . يعنى هنا صديقتى امرأة مطلقة ولم تنجب من زواجها مثلك، تعيش معى من وقت لآخر لا تختبئ من أحد ويعرف والداها بعلاقتنا ويدعوانى فى منزلهما. وحارسة البيت ترحب بها لأنى أستقبلها وحدها، وإذا كنت كل يوم أحضر امرأة مختلفة لقدمت فى شكوى وطلبت طردى من المنزل.. صديقتى تجرب الحياة معى لتختار بحرية وتقرر بحرية هل نتزوج . أم . لا. أنا لا أنوى الحياة دائما بعيداً عن بلدنا سأعود يوماً. وهى لابد أن تقرر إذا كانت تستطيع الحياة معى في أى مكان..

كان أخى يتحدث بهدوء وهو يقود سيارته وأنا استمع بدون أن

أعلق، فهل سأقوم بمقارنة سخيفة بين مجتمعنا ومجتمعهم ؟! كأنه يريد أن يقول لى لماذا فعلت هذه الضجة بزواجي العرفى وأزعجت والدى. ولماذا لم أفعل مثل المرأة الفرنسية ؟! ربما شعر بضيقى من المقارنة فقال ضاحكاً :« ألم تجدى ياأمانى بين رجال مصر سوى هذا الرجل المتزوج لتحبيه ؟!» . لم أرد . فتأسف لي. وصلنا إلى المطعم. صعدنا عدة درجات خشبية . أشارت لنا امرأة ناضجة جميلة فى مثل عمرى وقامت تستقبلنا بمرح. شدت على يدي وهى تقول بالانجليزية إنها مسرورة لمقابلتى وتود أن نكون صديقتين .

قال أخى وهو يشير إليها :« مارى» . وقالت هى : «طبعاً أعرف أمانى»..

فوق موجة يأس عالية

شعرت بغربة فى باريس ، فصديقة أخى لم تستطع التفرغ لصحبتى، وقت فراغها من عملها مع وقت فراغ أخي فى يومى الأجازة الأسبوعية. فى الصباح يحدد لى أخى الأماكن التى أزورها . يرسم لى خريطة لأتحرك وحدى. والتقى به وبصديقته وقت العشاء. جو الخريف الأوروبى حرك اكتئابى. قلت يائسة فى نفسى إننى دائما اختار الطريق الخطأ، لكن لابد أن أستفيد من خطئى فى الحضور هنا لأزور المتحف الشهير. لأسير في طرقات المدينة، لأشاهد عالماً جديداً. في وحدتى تساءلت : كيف ستسير حياتى هل سأبقى هكذا وحيدة ؟!.

وجدت نفسى فوق موجة عالية من موجات اليأس التى تنتابنى. عندما يكتمل اليأس ويداهمنى هكذا أحب أن أكون فوق موجة عالية، ربما تقذفنى إلى شاطئ أمان، وربما تغرقنى تماماً. وكان أملى شديداً ويائساً أيضاً فى ذلك اليوم. سرت فى طرقات المدنية بلا هدف. دخلت مكتبة اشتريت كتاباً ومجلة. وقفت في مفترق طرق. واخترت طريقاً بلا

هدف. وكأن موجة اليأس الشديدة قذفتنى إلى شاطئ أمان تمنيته بيأس. نظرت إليه وكنت أنوى أن أحييه تحية عابرة لكنه وقف ليسلم على قال بدهشة :« الأستاذة أمانى .. غير معقول ، ماهذه الصدف الجميلة »؟!.

لقد تعرفت عليه منذ عام تقريباً فى النادى الرياضى الذى أذهب إليه مع صديقانى . جلس معنا يومها ليحكى لإحدى صديقاتى التى تعرفه عائلياً، عن مشكلته مع زوجته وأنه فى طريقه إلى الطلاق. يومها أبدي إعجاباً وبعملي. يومها ألقى لى بطوق نجاة لأخرج من أمواج البحر اليائس. لم التقط الطوق. لم ألتفت له. ولم أقابله بعدها. وهاهى موجة اليأس التى كنت فوقها ذلك اليوم فى باريس تقذفنى فى طريقه ويحتوينى بشوق تعجبت له. ويصبح الطريق غير الهادف مقصداً. ونجلس معا فى مقهى نتحدث ساعات طويلة. ذكرنى بذلك اليوم الذي جلس معنا فى النادى وحديثه عن مشكلته مع زوجته ذلك الحديث الذى لم أستمع له تماماً. قال إن الطلاق وقع بينهما منذ عام تقريباً . سألته عن تلك المشكلة.

قال : «تزوجت وأنا في الثانية والأربعين من عمرى. تأخرت فى الزواج لأنى كنت مهتماً بعملى. قمت بدراسات عليا فى بلدنا وفي الخارج في العلوم الهندسية للاليكترونات. وليس بسب عدم استطاعتى مادياً للزواج . أهلى ناس مبسوطين والحمد لله . المهم تزوجت بنت تصغرنى بخمسة عشر عاماً، مدرسة علوم رياضية فى مدرسة ثانوية. تعرفت



عليها خلال العائلة وقلت إن دراستها العلمية الرياضية تناسب دراستى ونستطيع التفاهم. قبل أن أخطبها كانت مقدمة للعمل فى بلد عربى وسألتها أن تصرف نظرها عن السفر. فأنا بعملى ودخلى من إرث والدي ودخلها من عملها نستطيع أن نعيش حياة مريحة فى بلدنا، وفعلاً كنت قد اشتريت شقة معقولة فى حى إلى حد ماهادئ. هى وافقت فى أول الأمر على اقتراحى بعدم السفر. وتم زواجنا. لكن عندما ظهرت نتيجة الإعارات للمدرسين وكان اسمها أول الأسماء جن جنونها وأصرت على السفر. رجتنى أن أسافر معها كمرافق أو أجد عملاً هناك. يابنت الحلال إننا في غنى عن هذا السفر، لكن طموحها المادي كان بلا حدود. فبدلاً من أن نملك شقة لماذا لا نملك عمارة ؟!. ولنملك سيارة كبيرة بدلاً من الصغيرة ..و..و.. اندفعت وراء احلام طموحها المجنون فكنا فى أول الزواج ولم أرد أن أفقدها. سافرت معها ووجدت عملاً فى اختصاصى هناك. وانجبنا طفلة جميلة، لم أسترح فى العمل هناك ولم يناسب صحتى المناخ الحار المتقلب، لكنى بقيت هناك من أجل طفلتى التى أنجبتها فى هذه السن الكبيرة . مرضت طفلتى فى العام الثانى من عمرها. كان مرضها غريباً وفى أول الأمر غير معروف . تشفى قليلاً ثم تمرض وهكذا لمدة ثلاث سنوات. أخذناها إلي الأطباء هناك وفى بلدنا وجئنا بها هنا لأطباء فرنسا. وفى عمر الخامسة ماتت طفلتى. لم أحتمل الحياة فى البلد العربى. عدت إلي القاهرة على أن تلحق بى زوجتى بعد انتهاء

العام ادراسى هناك ، ولا داعى لسفرها مرة أخرى ووافقت، لكن عندما جاءت إلى القاهرة فى الأجازة أخبرتنى أن أمامها عرضا مغرياً للعمل هناك وعليها أن تستقيل من وزارة التعليم المصرية. فى تلك السنوات الخمس التى عشتها مع زوجتي تحملت الكثير من تصرفاتها وأخلاقها من أجل طفلتى، أشياء لا داعى لذكرها. وعندما أخبرتنى بهذا العرض المغري لعملها هناك خيرتها بين العودة إلى بلدنا أو الطلاق فأختارت الطلاق.

وهكذا ياعزيزتى حدث الطلاق منذ عام تقريباً .. إيه ياأمانى أعرف أنك كنت مطلقة . هل تزوجت ؟!»

كنت سارحة فى قصته التى يحكيها وفوجئت بسؤاله فأجبته مباشرة .. «لا».

شاطئ الأمان

حدثت أخي عن الرجل المصرى الذى قابلته وكنت قد تعرفت عليه من قبل فى القاهرة، واستعداده أن يكون بصحبتى لمشاهدة معالم باريس، فمهمة عمله لا تأخذ كل وقته، وقد جاء منذ شهرين وسيعود إلى بلدنا بعد أسبوعين. وهو قد عاش فى فترة سابقة فى هذه المدنية ويعرفها جيداً. حدثت أخى عن ظروف الرجل الاجتماعية التى حكاها لى، وسألت صديقة أخى أن ترشدنى إلى محل «كوافير» لأصفف شعرى وترشدنى إلي محل ليس غالياً لاشترى رداء جديداً !

فرح أخى وصديقته لخروجى من حالة الضيق التى انتابتنى فى الأسبوع الذي قضيته وحدى تقريباً، وقرر أخي أن يدعو هذا الرجل لصحبتنا فى عطلة نهاية الأسبوع.كانت فرحتى الظاهرة بوجود صحبة لى فى مدينة غريبة، وفرحتى العميقة غير الظاهرة بشعور غريب أن هناك شيئاً سيربطنى بهذا الرجل. تعجبت إنه يلاحظنى من زمن بينما لم أره سوى فى ذلك اليوم الذى جلس معنا فى النادى . قال إنه شاهدنى كثيراً

فى النادى مع صديقاتى عندما كان يحضر فى إجازاته الصيفية، وأعجب بشخصيتى عندما جلس معنا، كما أعجب من قبل بما أقدمه فى البرنامج الثانى في الإذاعة وعلم من صديقتى التى يعرفها عائلياً ظروفى الاجتماعية. سألنى عن الرجل الذى يعمل فى بنك كبير فقد شاهدنى معه فى النادى الرياضى. وفى مكان آخر لا يذكره.. الماضى نحسبه يموت بشفائنا منه. لكنه مثل الأسماك عندما تموت تطفو على السطح . لقد أقسمت أن أنكره من حياتى كما أنكرنى وهكذا انكرت للرجل علاقتى به..

ماذا تفيد الصراحة فى ذكر ذلك الحب والعذاب المهين الذى أخفيته عن الخلق. لقد أخذت جزائى فى ذلك العذاب، وتطهرت بالألم وتغلبت على الحزن.

سألنى إذا كنت أسكن فى القاهرة على النيل . ولما نفيت ، قال إنه شاهدنى مرتين أخرج من عمارة، قال عنوانها وفوجئت فهى العمارة التى عشت فيها أيام الزواج السرى !.. ياسماء لماذا هو بالذات من سكان القاهرة العظمى يرانى ؟!.. قال إن خالته تسكن فى العمارة المجاورة وكان يعيش معها عدة أيام عندما شاهدنى من الشرفة. قال إنه وقتها قرر أن ينتهز فرصة وجوده فى الطريق ليحدثنى عندما يرانى لكنه سافر. وابتسم وهو يقول بشئ من التعجب والسرور..

وهاهو يقابلنى فى الطريق فى باريس وليس فى طريق النيل. ثم قال

بشئ من الجدية : «يبدو أن الإنسان عندما يكون لديه أمل حقيقى ورغبة صادقة فى نفسه لابد أن تتحقق».

أمام صدق أحاديثه ووضوح مشاعره لم أستطع إنكار سر تلك العمارة على النيل. ضحك بصوت مرتفع وقال أمام دهشتى لضحكاته إنه كل يوم يكتشف فى شيئا جديداً ، واليوم اكتشف إننى خفيفة الظل.. تعجبت من تعليقه فقال بجدية إن شخصيتى وطبيعتى كما فهمها لا تقبلان مثل هذه الزيجة السرية ولابد إننى فعلتها كنوع من المغامرة للترويح عن نفسى. وضحكت

ويقول كلمات نسيت سماعها الأذن، كأنها كانت صماء وعاد إليها السمع. ويخفق القلب بخفقات نسى وجودها. ويرتفع دخان الأحلام القديمة فيصنع ضباباً أمام العينين. لابد من إزالة الدخان حتى ترى عيناى بوضوح ، وحتى تسمع أذناى تحذيرات العقل من خداع الكلمات فيما مضى. وحتى لا يضل الأمل الراقد فى سكون من صيحات يقظته. وحتى لا يكون الشعور بالحب مثل الحمل الكاذب، ووقت الولادة يكون مجرد هواء فى فراغ.. لكن هذا الشعور الذى أشعر به ليس حملاً كاذباً . وهذا الرجل بكل مواصفاته وصفاته ومشاعره ومعاملته لى جاء محققاً لحلم أكثر من الحلم نفسه. مطابقاً لأمل أكثر من الأمل. وكأنى فى دعواتى كنت مؤمنة حتى فى ساعات اليأس المريرة إنها ستجاب. وإن احلامى ستحقق بصورة أو بأخرى ، ولم أكن أطمع فى أن تتحقق على

هذه الصورة المطابقة للحلم وأكثر .. ركعت للسماء أشكرها. لابد إنها غفرت لى ماارتكبته فى حق نفسى من شر وظلم، فلماذا دفعتنى إلى هذا البلد لألتقى به ؟!.. والكلام لا يتوقف بيننا . كنت . وكان نحكي بلا خوف من ماض يهددنا. أو حاضر يفزعنا . أو مستقبل يخيفنا. نحكى عن سنوات عمرنا. كيف صنع كل منا حياته. الكلام لا يتوقف بيننا. كنت وكان . وأخيراً أنا وهو نلتقى على أرض صلبة صنعناها من التعب والألم. وأمل فى صحبة متوافقة. سألته سؤالاً مباشراً . «ماذا تريد منى؟» قال بجدية «أتزوجك»..

عقدت لسانى الدهشة فنظرت إليه واجمة .

مونولوج

نعم ياسيدتى . لكل رجل مطلق امرأة مطلقة. هذه الحقيقة التى قالتها يوماً الطبيبة النفسية ولم تعجبك. وبالرغم من هذا الحب الهادئ الذى يتسلل إليك والشعور العميق الحقيقي تجاه هذا الرجل، حاولت مراوغته بتأجيل طلبه للزواج حتى تتعرفا على بعضكما أكثر فى بلدكما، فربما الشعور بالوحدة فى بلد غريب قرب بينكما. لكن الرجل كان صادقاً فى طلبه وقال لك كيف لا تفهمان بعضكما وتعرفان ماذا تريدان وانتما فى هذا العمر ؟!. فهو فى أول عمره الخمسينى وأنت فى عمرك الأربعينى .

سيدتى .. تذكرى نظرة الفرح فى عينى أخيك عندما أخبرك أنه طلب أحد أصدقائه فى القاهرة ليسأل عن هذا الرجل الذي تقدم لك، وجاء الرد فى اليوم التالى مطمئناً ومشجعاً حتى إنه طلب والديكما في مساء ذلك اليوم ليخبرهما بخطوبتك التى قرر الاحتفال بها قبل عودتك.

سيدتى .. عندما تمر بك السنون تذكرى ذلك اليوم الذى قابلت فيه

هذا الرجل. تذكرى حالتك النفسية المحبطة وأنت فوق موجة من موجات يأسك العتيق . تذكرى كلماتك اليائسة لنفسك إن عليك أن تتقبلى وحدتك. تذكرى سيدتى عندما سرت فى طرقات باريس بلا هدف وقادك قدرك إلى ذلك الطريق الذى قابلت فيه هذا الرجل، تذكرى سيدتى عندما لبيت دعوته إلي مقهى غير معترضة وغير مرحبة، وامتدت جلستكما ساعات طويلة فى أحاديث لا تنتهى. تذكرى سيدتى عندما عدت من مقابلته منتشية بالحيوية غير مصدقة حالتك التى تبدلت من الخمول اليائس إلى الحيوية بالأمل عندما تتذكرين سيدتى ذلك اليوم، بل والأيام السابقة عليه والأسابيع والشهور والسنين. أقسمى سيدتى ألا تغضبى هذا الرجل وأن تسعديه كما أسعدك.. سيدتى الإنسان لا يقابل كل يوم آخر يتوافق معه ويحبه. وأنت تعرفين هذا جيداً وقاسيت سنين طويلة من الوحدة حتى وأنت مع من تحبين أو تتزوجين !

سيدتى .. إننا لا نتخلص من ماضينا تماماً.. وكما تعرفين لا يوجد شئ تماماً.. وإذا كنا نشكر الحاضر على مايعطيه لنا إلا إننا أحياناً لا نعيشه تماماً.. وإذا كان التقاء اثنين فى عمر كبير بعد سنوات طويلة من التجارب له مميزاته الكثيرة إلا أن لكل منهما ماضيه الذى لا يستطيع التخلص منه تماماً. فلا تسمحى لهذا الماضى أن يعكر عليك صفو حياتك إذا خرج لك فجأة فى الحاضر أو إذا امتزج مع تخيلاتك المحبطة التى لا تستطيعين التخلص منها تماماً.

سيدتى .. عندما تتفتح زهور الأشجار وتأتيك نسمات الربيع بإلحاحها العجيب لتذكرنا بسنوات عمرنا الوردية ، ربما تتذكرين آمالك التى كانت عظيمة. ورغبتك التى كانت قوية للحب وللحبيب وتتساءلين أين ذهبت تلك المشاعر ؟!. وربما تتكدرين من ذكريات الفشل القديم، لكن لا تندمى، فكان لابد من اجتيازك طرق كثيرة حتى تعرفى الطريق السليم. سيدتى .. إذا وهبتنا الحياة حبا جديداً، لا داعى لتعذيب أنفسنا بذكرى حب مضى.. سيدتى .. الرجل الذي فى حياتك الآن ليس له ذنب فى اضطراب حياتك السابقة، فلا تحاسبيه على مافات، فهو لم يكن فى حياتك عندما كان فيها الاضطراب. تنبهى سيدتى عند غضبك لهفوة من هفوات الرجال العابرة الا تضيفى غضبك القديم على غضبك الحديث وتحمليه ذنب كل عذاباتك السابقة.

سيدتى .. أنت الآن فى حالة حب مختلف عن قصص حبك القديمة لنسميه حباً ناضجاً . حب أتى إليك صادقاً هادئاً ليعيش معك. لم يأت إليك مثل الصاعقة ليحرقك أو ليشعرك باضطراب، ولم يأت إليك مخادعاً ليخذلك.. سيدتى .. عندما تمر بك السنون تذكري يوم عودتك إلي الوطن ولأول مرة فى حياتك لا تخافى السفر بالطائرة وأنت تجلسين بجانب هذا الرجل، ويمسك يدك التى بها «دبلة» الزواج بيده التى بها «دبلته» هاتان الدبلتان الذهبيتان هدية أخيك لكما، وشعرت باطمئنان عجيب وهو يضمك إلى صدره كأن لا شئ فى العالم يمكن أن يزعجك .

عندما تتذكرين ذلك المساء سيدتى.

اقسمى ألا تغضبى هذا الرجل وأن تشعريه بالأمان كما جعلك تشعرين به .. تذكرى كل هذا سيدتى وأنت تغلقين كراسة يومياتك . يوميات امرأة مطلقة .

زينب صادق